وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس – المدية –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة وأدب عربي

جدل التاريخ والهوية في رواية " الديوان الإسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص نقد حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

– رفيقة مزاري

– مريم بختاش

إشراف الأستاذة :

–عائشة العشمي

السنة الجامعية: 2020/ 2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكر وعرفـــان



الشكر والحمد لله أولا صاحب الفضل والعطاء

قل الحمد أن وفقنا في إنجاز هذا العمل

ونتوجه بالشكر والامتنان والتقدير إلى الأستاذة الفاضلة التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذه المذكرة الأستاذة " العشمي عائشة "

ونشكر كل من ساهم في تحريك هذا البحث



إهـــــــداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا اليوم الذي لم أكن لأبلغه لولا توفيقه الحمد لله كثيرا دائما طيبا مباركا فيه

إلى التي أنجبتني على فراش الأوجاع والألم إلى التي ربتني على الإرادة والأمل إلى "العظيمة أمي"

إلى الجبل الهرم إلى الذي لين لي كل قاس وهون لي كل صعب الذي شق لي هذا الدرب إلى أصلي ونسبي وانتسابي إلى "العظيم أبي"

إلى الحب لا ينضب ولا ينتهي ولا يفتر توأمي "أختي وسيلة" أدامها الله لقلبي كل العمر

إلى أمني وأماني إلى الفخر في عيوني والدفء في قلبي إلى سندي سندي أخي أيمن وفقه الله وسدد خطاه، إلى قطع السكر ملائكتي الصغار إلى نجمي الذي لا يأفل "ياسر" وزهرتي التي لا تذبل "رؤية"

إلى الركن الآمن وركيزتي الثابتة الذي رافقتني دعواته منذ صرختي الأولى إلى "جدي"

إلى التي اعتنقت سجادتها كل السنين تزف أسمائنا إلى السماء في دعاء لا ينتهي

إلى التي كانت لي أما بعد أمي إلى خالتي "حورية"

إلى الحضن الدافئ أم أمي إلى "جدتي" شفاها الله

إلى أعمامي وعماتي وخالاتي وخالي

إلى التي شقت معي هذا الدرب وشاركتني هذا المشوار إلى "صديقتي مريم"

إلى صديقاتي اللاتي اقتسمت معهن هذا الشوط من حياتي " جهيدة ، أسيا، عقيلة"

إلى ذلك الصديق بنكهة الأخ الذي كان حجر الأساس في انطلاق بحثي " جمال الدين"

رفيقة

إهـــــــداء

أيام مضت من عمرنا بدأناها بخطوة وها نحن اليوم بصدد قطف ثمار هذه المسيرة التي كانت حافلة بالمغامرات والصعاب كان هدفنا السعي للنجاح.

أشكر الله أولا وأخيرا على أن وفقنا وسدد خطانا لإتمام هذا العمل.

أتوجه بالشكر إلى نبع الحنان إلى الغالية أمي التي كانت شمعة تحترق لتنير دربنا بنور قلبها، اللهم إحفظها وجعلها سيدة من سيدات أهل الجنة

إلى سندي وقدوتي ومرشدي أبي الغالي لقد كنت بجانبي في كل المراحل التي مضت تلذذت بالمعاناة لنسعد نحن أنفقت، ربيت، علمت، جزاك الله ألف خير، وجعلك تاج فوق رؤوسنا .

إلى من ساندوني وكانوا عونا لي في مشواري الدراسي إخوتي "عبد الباسط وبوجمعة"

إلى شقيقاتي الغاليات: "سعاد، شهيرة"، وإلى أزواجهن "نور الدين وعامر"

وإلى العزيزتين رفيقات دربي " لمياء، وإيمان "

وإلى من منحني لقب الخالة إلى بهجة البيت وسعادتها " يسرى، نور الهدى، آدم، إسراء، روان "

إلى من قاسمتني عناء هذا العمل صديقتي حبيبة قلبي "رفيقة"

إلى جميع صديقاتي اللواتي قضيت معهم أجمل أيام حياتي في إقامة وهيبة قبايلي " عقيلة، جهيدة، أسيا "

وصلنا وفي أيدينا شعلة من العلم وسنحرص كل الحرص عليها حتى لا تنطفئ

اللهم وفقنا إلى ما تحب وما ترضى

مريـــــــم

مقدمة

يشكل التاريخ القاعدة الزمنية والحجر الأساس في بناء حاضر ومستقبل الأمم، وتضعف الأمة بضعف تاريخها، فهو جزء لا يتجزأ من تكوين الإنسان وهذه الأهمية البالغة هي ما جعلته مستمر ومتواصل، يظهر في عدة أشكال منها المدونات التاريخية وكتب التاريخ.

ولم يقتصر نقل التاريخ على هذه الأشكال فقط بل ظهر حتى مع الرواية باعتبارها سرد نثري وتمثيل لواقع معيش لينفصل ويستفرد بصنف من أصناف الرواية وهي الرواية التاريخية التي تستمد موضوعاتها من التاريخ، وأول من أسس له هو الروائي الأسكتلندي المعروف " والتر سكوت " من خلال أعماله أولها "ويفرلي" فهي صنف موجود منذ القدم، واشتعل الكثير من الروائيين العالميين عليها أهمهم " فكتور هيقو، بلزاك "وغيرهم.

كذلك نجد من الروائيين العرب من كتب في هذا الصنف أمثال " جورجي زيدان نجيب الكيلاني"، فقد كانت هذه الرواية قائمة على تسخير التاريخ لخدمة التخييل فهي تمثيل فني لا يخلوا من الخيال حيث ينقل لنا الكاتب أو الروائي التاريخ في قالب فني يصحبه الخيال يخرجه من قالب المؤرخ.

حتى غدت الرواية التاريخية الأكثر انتشارا ورواجا في الساحة العربية لما تتيحه للكاتب من فرص لتعبير عن آرائه السياسية والإيديولوجية في قالب فني تخييلي، وهو ما نجده في الأدب الجزائري والرواية الجزائرية حتى ولو أنه متواجد بنزر قليل إلا أنها أخذت حيزا لابأس به لدى الأدباء الجزائريين.

ولا ربما من أهم الأسباب التي جعلتنا ننكب حول هذا النوع من الرواية ونفضل دراسته ووعينا بأهمية التاريخ بالنسبة للإنسان العربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، كذلك ما شغفنا بهذا النوع من الدراسات هو القالب الفني الذي جاء فيه نقل أحداث الماضي وتاريخ الأمة.

ووقع اختبارنا على رواية " الديوان الإسبرطي " للكاتب الجزائري " عبد الوهاب عيساوي ". الذي كان أيضا سبب اختيارنا له هو مكانة الرواية في الساحة الأدبية العالمية وما لها من قيمة على الصعيد الفني الأدبي والتاريخي وقد جاءت دراستنا هذه موسومة بـ **"جدل التاريخ والهوية في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي "** ليحدد العنوان في حد ذاته إشكالية البحث الأساسية " كيف تشكلت الهوية والتاريخ في رواية الديوان الإسبرطي " المتمثلة في الأسئلة التالية: ماهو مفهوم الهوية؟ وماهي الرواية التاريخية؟ وما علاقة التاريخ بتشكيل وبناء هوية الإنسان؟

وللإجابة على هذه التسساؤلات اتبعنا الخطة التالية: مدخل نظري تناولنا فيه تعريف الرواية والسرد والتاريخ لغة واصطلاحا ومقدمة، كما اعتمدنا على فصلين، جاء الفصل الأول معنون ب الهوية والتاريخ والفن الروائي تطرقنا فيه إلى الهوية والرواية التاريخية كمبحث أول، والتاريخ بين الأدب والرواية والهوية كمبحث ثاني، اقتصرنا في المبحث الأول على تحديد مفاهيم كل من الهوية والرواية التاريخية وعلى علاقة التاريخ بثلاثية الأدب والرواية والهوية في المبحث الثاني.

أما الفصل الثاني فصل تطبيقي بعنوان تشكلات التاريخ والهوية في الديوان الإسبرطي، تناولنا في المبحث الأول تمثلات الهوية في الكتابة السردية (الانتماء، اللغة والدين، وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى تمثلات التاريخ في الديوان الإسبرطي (الشخصية التاريخية، الحدث التاريخي)، لينتهي بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الملاحظات التي استنبطناها من قراءتنا كمادة البحث.

واعتمدنا في إنجازنا لهذا البحث على المنهج التاريخي كمنهج رئيسي والمنهج التحليلي الوصفي كمنهج مساعد وذلك لملائمة مع مادة البحث وطبيعة الموضوع كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي سهلت علينا رحلة البحث أهمها:

الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، الرواية التاريخية لجورج لوكاتش، بول ريكور الهوية والسرد لحاتم الورفلي وغيرها من المصادر والمراجع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي ليونة مفهوم الهوية وعدم سهولة الحصول على مفهوم ثابت له، وكذلك جدة هذا الموضوع فهي مدونة لم يسبق خوض غمار الدراسة فيها من قبل.

وفي الأخير نشكر الله ولي التوفيق والمعين على كل أمر كما نقدم شكرنا وتقديرنا للأستاذة الكريمة " العشمي عائشة " التي كانت بوصلة بحثنا توجهنا وتعيننا على إتمام هذا البحث.

مدخل:

الرواية، السرد، التاريخ

1)-الرواية:

تعتبر الرواية جنساً أدبياً قوي الحضور خلق لنفسه مكانا واسعا بين الأجناس الأدبية باعتباره تعبير عن الواقع وعن الهوية الثقافية للأمم، وقد ورد في مفهومها الكثير من التعاريف فمنهم من ركز على مادة "روى" من الجانب اللغوي مثل ما جاء في تعريف" ابن منظور": << روى الحديث والشعر رواية وتراوه >>.[1]

ومنهم من تعدى ذلك إلى الجانب الاصطلاحي وفي هذا المجال نجد أن لكل تعريف لها حسب فهمه، فهي من الفنون النثرية التي يصعب ويتعسر علينا الإحاطة بمفهوم شامل وجامع لها وذلك لمرونة وليونة أشكالها التي تتغير من عصر لآخر ومن كاتب لآخر. فتناولها "باختين" وقال فيها:<< فن نثري تخييلي طويل – نسبيا- وهو فن طوله ويعكس عالم من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات الغامضة أيضا، وفي الرواية تكمن ثقافات، إنسانية وأدبية مختلفة، وذلك لان الرواية تسمح بان تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية أو غير أدبية>>.[2] في تعريف "باختين" لرواية يتضح لنا أن الرواية هي بحر تصب فيه مجموع أنصار وأودية يصعب علينا فرز مياهها.

ومع بروز هذا الفن تفرعت جذوره واختلفت حسب الموضوعات التي تناولها فمنها العاطفية (الرومانسية)، السياسية، الحربية، الواقعية، والنفسية والتاريخية التي يتمحور حولها بحثنا وهي حسب تعريف "مجدي وهبة" و" كامل المهندس":<< سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين، أو بهما معا... ومع الحرية التي يتمتع بها كاتب الرواية التاريخية إلا انه

[1]-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، لبنان، ط1، 1997م، ج 3، ص151.

[2]-أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار لنشر، سوريا، ط1، 1997م، ص21.

يجب أن يدور فيها داخل إطار التاريخ بحيث لا تكون له حرية التصرف في تغيير الحوادث والأزمنة التاريخية >>.[1]

2-السرد:

يعد السرد من أهم القضايا التي أثارت اهتمام الباحثين والكتاب والدارسين فهو مصطلح أصيل في التراث العربي، وأول ما يتبادر إلى أذهاننا عندما نتحدث عن السرد هو الحكي أو تلك الممارسات الحكائية التي كانت ولا تزال تروى على مسامعنا قديما وحديثا كما يعد السرد علما قائما بذاته وهو اشد ارتباطا بالرواية لما تحويه من تقنيات سردية، فهو مكون لازم للنص الروائي وللوقوف على مفهوم السرد بشكل أدق نتطرق إلى التعاريف التي وردت في الأصل اللغوي له فهو:<< تقدمة شيء إلى تابعه وفلان يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القران تابع قراءته في حذر>>[2].

وفي الجانب الاصطلاحي هو السرد هو:<< الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق قناة الراوي والمروي له، وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له وبعضها الآخر متعلق بالقصة ذاتها>>[3]. كما نجد"أمنة يوسف" تطرقت إليه في قولها:<<نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية>>[4].

كما يعتبر السرد مصطلح نقدي محط دراسات واسعة له مكونات وأشكال يقوم عليها ومن أهم مكوناته الراوي والمروي والمروي له وهي عناصر الحكي المعروفة في كل ممارسة حكائية.

الراوي_____المروي_____المروي له.

---

[1]-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص184.

2-ابن منظور، لسان العرب، مادة سرد، ص165.

3-حميد الحميداني، بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الجبل، بيروت، 1987م، ص ص194 195.

4-أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص28.

أما أشكاله ونقصد بها نوع السرد، وهي مختلفة منها السرد التابع، والسرد المتقدم، والسرد الآني والسرد المدرج كما وردت في "السرد العربي" لمحمد عبد الله.

3-التاريخ:

التاريخ علم ينير للبشر طريقهم مثله مثل غيره من العلوم الإنسانية النافعة، فالإنسان لا يستطيع أن يتخلى عن ماضيه لأن به يتحدد حاضره ومستقبله حيث قيل عنه أنه فن يبحث عن وقائع الزمان وموضوعه يتمثل في الإنسان ومسائله وأحواله وهذا على حد قول السخاوي، إذ انه ليس من اليسر تعريفه والوصول إلى شرح وافي وكافي له فمن جانب اللغوي على انه << جملة الأصول والأحداث التي يمر كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية، ويقال فلان تاريخ قومه إليه وينتهي شرفهم ورياستهم>>[1] .

وعرف أيضا على انه:<<كل شيء أي غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة>>[2].

أما السخاوي فعرفه على انه:<<فن يبحث عن وقائع الزمان ومسائله وأحواله المقصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان وفي الزمان>>[3].

أما اصطلاحا فيعرفه ابن خلدون فيقول:<< أنه من الفنون تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائن والرجال...إذ هو ظاهرة لا يزيد على أخبار الأمم والدول... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبدأها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها>>[4]، فمن خلال التعريف الخلدوني التاريخ فن متداول جيل إلى جيل والتاريخ عنده ينقسم إلى جزأين، الجزء الظاهري المتمثل في أحوال وأخبار الأمم، والجزء الباطني وهو تلك

[1]-مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص13.
2-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، دط، مركز النشر الجامعي، 2000، تونس، ص09.
3-شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، دمشق، 1349ه، ص07.
4-ابن خلدون، مقدمة، ج1، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص07.

المعلومات التي لا يمكن الوصول إليها إلا بقوة البصيرة وسعة الاطلاع، أي البحث عن ما خفي بين السطور.

الفصل الأول:الهوية والتاريخ والفن الروائي

المبحث الأول: الهوية والرواية التاريخية

المبحث الثاني: التاريخ بين الأدب والرواية والهوية

أولا: مدخل مفاهيمي للهوية

1)مفهوم الهوية:

نجد في هذا الموضوع العديد من التعريفات والمفاهيم التي تناولت الهوية على تعددها وتنوعها، بتعدد الدارسين والباحثين فيه، كما إننا لا نجد حصرا لها سواء في الجانب اللغوي أو الاصطلاحي ومن هذه التعاريف نورد:

أ-**لغة:** لقد جاءت لفظة الهوية في لسان العرب في ما معناها:<<هوى بالفتح يهوي، هويا وهوايانا وانهوى: سقط من فوق إلى أسفل وأهواه هو، يقال أهويته إذا ألقيته من فوق>>[1].

كذلك قول ابن منظور:<< أسقطها فهوى أي سقطت وهوى السهم هويا، سقط من علو إلى أسفل>>[2].

أيضا مما قيل فيها إنها:<< هوية تصغير هوة، وقيل بئر بعيدة المهواة >>[3]، ونقصد بالمهواة أي بعيدة القعر أو عميقة، كما نجدها وردت في قاموس المحيط بمعنى:<<الهوة كقوة ما انهبط من الأرض أو الوهرة الوهدة الغامضة منها، كالهواءة كرمانة والهو بالفتح الجانب والكوة>>[4].

والهوية من <<الهواء: الجو كالمهواة والهوة والأهوية والهاوية وكل فارغ، والجبان بالقصر، العشق، يكون في الخير والشر، وإرادة النفس والمهوي، وهوت الطعنة: فتحت فاها، والعقاب هويا انقضت على صيد أو غيره والشيء سقط، كأهوى وانهوى>>[5].

1-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، دط، 1863، مادة(ه.و.ى)، ص115.
2-المرجع نفسه، ص115.
3-المرجع نفسه،ص116.
4-محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005، ص1347.
5-المرجع نفسه، ص1347.

أما في معجم التعريفات للجرجاني فقط جاءت لفظة الهوية على أنها:<<الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق>>.[1]أي أن الهوية هي جوهر الأشياء ولبها.

أما في المعجم الفلسفي:<< الهوية تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الوجود، إلا أنها ليست ينطلق على الصادق هي أيضا من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم ولذلك الحق بها الطرف المختص بالأسماء وهو الألف واللام واشتق منها المصدر فقيل الهوية من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرجل>>.[2]

ويقول قاموس لاروس هي:<<مجموع الظروف، أو الحيثيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا أو محددا>>.[3]أي هي تلك الأشياء التي يعيشها الشخص تجعله مختلفا عن غيره من بني جنسه.

أما رضا شريف في كتابه الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة في فكر الجابري يقول أنها:<<تستعمل كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى الكلمة الفرنسية "identité" التي تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثله>>.[4]

ب-اصطلاحا: أما المعنى الاصطلاحي فقد وردت فيها العديد من التعاريف أيضا نجد منها قول محمد عمارة:<<إن الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد

1-الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط س، ص229.
2-مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص667.
3-احمد منور، الأدب الجزائري، باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م، ص12.
4-رضا شريف، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011م، ص14.

فاعليتها ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوق طوارئ الطمس والحجب دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات>>.[1]

كما نجد غيره الكثير ممن تطرقوا إلى مفهوم الهوية حيث يقول محمد مسلم في كتابه "الهوية في مواجهة الإدماج" أنها:<<مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وان يقدم نفسه وأن يعترف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها>>.[2]

أي أن الهوية هي مجموعة من الصفات التي تشمل مختلف الجوانب المتمثلة في اللغة واللباس، لون البشرة والعرق وغيرها من الصفات التي تجعل من الفرد مقبول بين الآخرين.

كما تعرفها ماجدة حمود فتقول:<<إن الهوية هي ما يصمم من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصية، ومحددة معالمه بشكل ثابت إبداعه طابعا خاص، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا" عن "النحن" لان الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتباهي بها، فتتبادل معها الأعراف وبذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صاف وبسيط>>.[3]

من هذا القول نستنتج أن هوية الفرد لا تتحقق بعيد عن الجماعة فهي تشكل انطلاقا من الجماعة وبذلك تكون ملازمة لها تميزها عن غيرها من الجماعات أي أن

1-محمد عمارة، مخاطر العولمة، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999م، ص6.
2-شرقي رحيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديدات العولمة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013م، ص193.
3-ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر(نماذج رواية عربية)، عالم المعرفة، دولة الكويت، دط، 2013م، ص15.

الهوية لا تخرج عن إطار الجماعة كما أنها لا تخرج عن إطار الزمن فتبقى ملازمة للفرد حتى تمنحه شخصيته الخاصة.

كذلك تعرف<<الهوية بانتماء كل فرد إلى عائلته وطائفته، الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها<< بنو جلدته>> كوجود سابق عن وجوده ويحفظ له مكانته ويخصه بمرتبة داخل الانتماء الاجتماعي>>.[1]

كما نلاحظ أن للهوية تعاريف أخرى حيث يقول احد الباحثين <<تعد الهوية من الألفاظ المتعددة المعاني إذ لها أن تستدعي لفظ التشابه والمماثلة ا وان يحضر ضمنها معنى الاستمرار والمماهاة مع الذات بان تكون هي محافظة على مكوناتها وقوام وجودها>>[2].أي أن الهوية تحمل في جوفها معاني متعددة منها الاستمرار والمماهاة والمماثلة والتشابه.

كما يقول حاتم الورفلي في الهوية أيضا :<<إن الهوية كيان يصير ويتطور وليس معطى جاهزا أو نهائيا وهي تصير وتتطور أم اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار وهي تعتني بتجارب أفرادها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم>>[3].

من هذا القول نستنتج أن الهوية مكونة من تجارب عديدة في حياة الفرد، قابلة للتغيير والتحول بتغيير هذه التجارب، كما أنها في تطور دائم ليست موجودة بصفة نهائية غير قابلة لتحول.

كذلك ورد في هذا الجانب الاصطلاحي بأن <<الهوية فيض متجدد لا يمنع ثابت نواته من إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير، إن الهوية السردية ليست هوية ثابتة وذلك لاتساعها شمولا وفيض بفعل التجارب اليومية وبذلك تظل الهوية مشروعا يطلب دوما

1-حاتم الورفلي، بول ريكو، الهوية والسرد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2009م، ص33.
2-المرجع نفسه، ص37.
3-المرجع نفسه، ص38.

التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها انجاز، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا>>.[1]

كذلك يقول سلطان بلغيث أن الهوية هي:<<التمشي الذي يقوم به الفرد لبناء مختلف مظاهر شخصيته سواء كانت هذه المظاهر حالية أم ماضية أم مستقبلية، وفي المظاهر التي يجدد بها الفرد ذاته أو يقبل أن يحدد بها>>.[2]

ومن خلال ما تقدم من التعاريف كانت الهوية محط رحلتها نستنتج أن تعريفها كان يتراوح بين الذات تارة وبين الشخصية تارة أخرى، كما أخذت في بعض الأحيان قالب المشابهة والمماثلة والاستمرار.

2-الهوية في الفلسفة:

للهوية حضور واضح في العديد من المجالات ومنها الفلسفة <<فالهوية موضوع فلسفي بالأصالة عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواء، المثاليون ميتافيزيقيا، وحولوه إلى قانون، قانون الهوية، والوجوديون نفسيا منعا للانقسام الذات على نفسها ومن ثم إنكار الوجود الإنساني>>.[3] كل من الفلاسفة المثاليون والوجوديون تناول موضوع الهوية على طريقته.

وقد أصبحت الهوية عنوانا للفلسفة"فلسفة الهوية" عند "شيلنج" أي أن يكون الوجود مطابقا لنفسه دون فصام أو انقسام أو ازدواجية أفلاطونية تطابق الروح والطبيعة، المثال والواقع دون حركة أو جدل أو مسار كما هو الحال عند "هيجل" فهي ليست فقط هوية

1-مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، إشراف جمال مباركي، جامعة بسكرة، 2016م/2017م، ص13.
2-سلطان بلغيث، تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، جامعة تبسة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص350.
3-حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012م، ص9.

رياضية أو منطقية أو فلسفية أو نفسية بل هي هوية أنطولوجية اقرب إلى وحدة الوجود عند الصوفية فالهوية قد تنتقل من تجربة فردية إلى الوجود كله>>.[1]

وقد وردت الهوية عند أرسطو كونها تطلق<<على ماهو متطابق سواء أحالت على وحدة شيء، أو شخص مختلف تماما عن غيره رغم تعدد التسمية، أو من جهة تماهيه مع نفسه وبقائه هو ذاته>>.[2] من قول أرسطو نجده حصر مفهوم الهوية في المشابهة والمماثلة.

كما يعرفها "لايبنتز" على أنها<< وعي الإنسان بوحدته رغم التغيرات التي تطرأ عليه خلال مراحل وجوده أي بقاؤه مساويا نوعيا لذاته وواحدا عدديا في كل الأحوال>>.[3]

الهوية هنا تكمن في ذلك الوعي الإنساني بالتغيرات والتحولات التي تطرأ على شخصية الإنسان عبر مراحل حياته.كما يؤكد "هايدغر" على أن الهوية "قد قدمت دوما على أنها تتمتع بطابع الوحدة>>.[4]

أي أن الهوية تكمن في الوحدة التي تعتبر<<الفراغ الذي يدوم ويستمر في انسجام فاتر بعيدا عن كل علاقة. لكن لكي تتجلى علاقة الهوية مع نفسها ولكي يفهم ذلك المتوسط كمتوسط ولكي يتأخذ ذلك المتوسط الذي يخترق الهوية مكانه، لزم الفكر الغربي ما يزيد عن ألفي سنة ذلك أن الفلسفة المثالية التأملية بعد أن مهد لها الطريق كل من "لايبنتز" و"كانط" هي التي أرسلت على يد"نيتشه" و"شيلنج" و"هيجل". للهوية أسسها ومنذ عصر المثالية التأملية لم يعد منحقنا أن نمثل وحدة الهوية كمجرد انسجام وأن نهمل التوسط الذي يتأكد في صميم الوحدة>>.[5]

1- حسن حنفي حسنين، الهوية ، ص9.
2-جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية، مركز النشر الجامعي، دط، د ب، 2010م، ص18.
3-المرجع نفسه، ص70.
4 -عبد السلام عبد العالي، هايدغر ضد هيجل(التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006م، ص83.
5-المرجع نفسه، ص84.

أي أن الهوية عند "هايدغر" تقوم على الوحدة والتوسط ولا تكون مجرد انسجام فالهوية حسب رأيه تقوم على أسس منها الوحدة والتوسط حتى تستمر وتتطور هذه الهوية.

3_الهوية في علم النفس:

من الجلي أمامنا أن مفهوم الهوية له صلة وطيدة بعلم النفس إذا ما اعتبرنا أن الهوية هي الشخصية أو هي الذات أي الأنا، كما لا يخفى لنا أن هوية الفرد تتشكل ابتدءا من أولى مراحل حياته بل هي الركيزة الأساس لتشكلها، <<فإشكالية الهوية ضمن تطور الحياة النفسية تبرز بشكل جلي أثناء المراهقة(....) فعملية اكتساب الهوية لا ينبغي أن تبدو لنا في الاحتفال الساذج بالدمج المستمر لذات فردية أو جماعية وحسب، بل تتجلى أيضا في ذلك القرار المعلن عنه والسري في كثير من الأحيان بالقيام بفعل تهديمي تفكيكي ولهذا تتأرجح الذات بين الإحساس المؤلم بتبعيتها لها وهو سائد والاعتراف به كواقع وبين الإنصات إلى رغبات الجسد السالبة>>.[1]

أي أن الهوية لا تظهر فقط في ذلك التفاعل بين الذات الفردية والجماعية بل هي مرتبطة بشكل كبير بمرحلة الموافقة التي تعد أساس تشكلها، كذلك مرحلة الطفولة مرحلة حساسة في تشكيل هوية الفرد والقاعدة الأساسية التي تشكل التوازن النفسي كذلك.

لذلك نجد "ايركسون" يقول في الهوية :<<أن عملية تشكيل الهوية النفسية ونموها، هي بمثابة إعادة للتوازن في بناء الهوية النفسية الذي تشكل خلال مرحلة الطفولة (البناء الأول للهوية)، إذ أن نتيجة التي يمر بها الفرد خلال المراحل العمرية اللاحقة التي تقود إلى إحداث خلل في التوازن لديه، فانه يستوجب عليه إعادة تشكيل الهوية كاستجابة

1-سعيدة بن بورة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، شهادة دكتوراه، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة حاج لخضر، باتنة، 2007م/2008م، ص16.

للمرحلة النمائية حيث يتوقع إعادة بناء وتشكيل الهوية لدى الفرد عند دخوله مرحلة من مراحل النمو النفسي>>[1].

ويعني هذا القول أن الظروف التي يمر بها الشخص في هذه المرحلة ستؤثر حتما في تكوين شخصيته وهويته في وقت واحد لاحق وفي مرحلة أخرى من مراحل حياته.

أما إذا حاولنا التطرق إلى مفهوم الهوية من المنظور النفسي فنقول:<< أنها مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والتفرد والاستقلالية وأنها ذات كيان متميز عن الآخرين وما يحقق من الإحساس بالتكامل الداخلي>>[2]، أي أن الهوية لا تحقق إلا في إطار المنجزات التي يحققها الشخص الناتجة عن وعي تام، تميزه عن غيره تجعله يشعر بالاستقلال والاستمرار.

كما أن الهوية من المنظور النفسي لا تفهم إلا [3]في سياق الجماعة حيث يقول حاتم الورفلي: << لا يمكن أن نفهم زخم الهوية الإنسانية بالية فهم أحادية بل بضرب جديد من الفهم وتأويل المشاعر إلى جانب فهم الروابط مع الآخرين والماضي والمستقبل المطلق>>.

أي أن فهم الهوية ناتج عن تفاعل بين (الأنا) و(نحن) وبين الماضي والمستقبل وتأثيرها بهما على الحاضر، كما أن الهوية الفردية هي جزء لا يخرج عن الهوية الجماعية.

1-بوعيشة أمال، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب، الجزائر، شهادة دكتوراه، إشراف جابر نصر الدين، جامعة محمد خيض، بسكرة، 2014/2013، ص114.
2-أمال بوعيشة، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب، ص114.
3-حاتم الورفلي، بول ريكو، الهوية والسرد، ص33.

4_الهوية في علم الاجتماع:

عندما نتكلم عن الهوية في المنظور الاجتماعي فإننا نتحدث عن تلك الخلفيات الاجتماعية التي تتكون من خلالها فهناك الكثير من الهويات التي تقوم على خلفيات قومية وأخرى دينية بالإضافة إلى عوامل اجتماعية أخرى أيضا لها دخل في تشكل الهوية وتغيرها مثل التغير الحاصل بين الحداثة وما قبل الحداثة كذلك ما يسمى بالعولمة أيضا، فنلاحظ تغير كبير في الهويات التي كانت سائدة قبل هذه التغيرات والتي هي سائدة الآن.

وقد كان اهتمام علم الاجتماع بالهوية من نفس اهتمام على النفس فهي شغلت حيز كبير في علم الاجتماع بكونها موضوع اجتماعيا وتعرف على أنها << عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره أي تحديد حالته الشخصية>>[1]، فهي تساعد على تحديد كيانه واستقلاله عن الآخرين من مجتمعه.

كما نجد أيضا علم الاجتماع يركز على الهوية الجماعية << ضمن السياق الاجتماعي العلائقي العام على مستوى الارتباطات والتناقضات القائمة بين الأفراد والمجموعات سواء كانت هذه المجموعات، مجموعة أثنية أو قومية أو ما فوق القومية لأنه لا يدرس السلوكيات الجماعية باعتبارها مجموعة ردود فردية بل باعتبارها ما تتميز به ردود المجموعة من خصوصيات>>.[2] أي أن الهوية في علم الاجتماع فردية وليست جماعية.

كما نجد أيضا من علماء الاجتماع من عرف الهوية على أنها << إحساس الذات ينشا حينما يبدأ الطفل بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه من المجتمع. فهي تشير إلى شعور شخص ما، بمن هو وماهي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له، ومن المصادر الأساسية للهوية هي القومية والعرق والجنس والطبقة ورغم أن الهوية تنسب إلى الأفراد إلا

1-خليل نوري مسهير العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص42.
2-جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية، ص154.

أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي تنسب لها الأفراد ويضفوا على ضوئها، ولا يوجد هناك دائما تطابق تام بين ما يعتقده الأفراد عن أنفسهم وبين ما يراهم الآخرون فالهوية الفردية ربما تختلف عن الهوية الاجتماعية، فمثلا الشخص الذي ينظر إليه باعتباره ذكرا ربما يرى نفسه امرأة سجنت في جسم رجل>>.[1]

من هذا القول نخلص إلى أن الهوية خاصة بالمجموعات الاجتماعية وليس بالأفراد كما هو ظاهر كما أن هناك اختلاف كبير بين الهوية الفردية والاجتماعية أي بين ما يراه ويكونه الإنسان عن شخصه وبين ما يراه الغير فيه.

ثانيا: مفهوم الرواية التاريخية

1-المفهوم الغربي:

نجد العديد من الباحثين الغربيين الذين تناولوا الرواية التاريخية بالدراسة وحاولوا وضع مفهوم واضح لها من بينهم نجد جورج لوكاتش، الفريد شيبارد وبيكون.

أ-جورج لوكاتش:

يقول جورج لوكتاش في كتابه الرواية التاريخية أنها:<< تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق>>[2]، كما يقول أيضا:<< أن ما يهم في الرواية التاريخية ليست إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى بالدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي>>.[3]

1-هارلمسر هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، سوريا، د ط، 2010م، ص13.
2-جورج لوكتاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط2، 1986م، ص89.
3-المرجع نفسه، ص46.

من هذا القول نلاحظ أن الرواية التاريخية هي وصلة بين الماضي والحاضر أي استحضار الماضي من أجل التحفيز على ما كان عليه الناس قبلهم أو من اجل الشعور ببطولات الشعوب سابقا مثلا، وليس الهدف منها هو نقل التاريخ لأن هذا ما يفعله المؤرخ وليس الروائي.

ب-الفريد شيبارد:

لقد تناولها هو أيضا بالبحث والدراسة حيث نجده عرفها بقوله<< تتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ لكن شرط أن لا يستقر هناك فترة طويلة، إلا إذا كان الخيال يمثل جزء من البناء الذي يستقر فيه التاريخ>>.[1]

من هنا نستشف الفرق بين الروائي والمؤرخ حيث أن الروائي لا يستقر عند حدود التاريخ كما هو مذكور في القول على عكس المؤرخ.

ج-فرانسيس بيكون:

كذلك يعرف "بيكون" الرواية التاريخية بكونها رواية:<< تحاول إعادة تركيب الحياة في فترة من فترات التاريخ>>.[2]

أي أنها تعني بفترة من فترات التاريخ وتعيد تصويرها وإعادة صياغتها لتقديمها مرة أخرى للناس في حلة جديدة بعيدة نوع ما عن ما يكون في كتب التاريخ.

1- نضال الشاملي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط6، 2006م، ص12.
2- المرجع نفسه، ص13.

2_المفهوم العربي:

أما عند العرب فكذلك نجد الكثير من الجهود التي بذلت في مجال الرواية التاريخية لمنحها تعريفا ملم ومحدد ومن بين هؤلاء نجد: سعيد يقطين، محمد نجيب لفتة، سمير روحي الفيصل.

أ- سعيد يقطين:

يعرفها سعيد يقطين بقوله:<< عملا سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة>>.[1]

ويقول أيضا:<< إن الرواية التاريخية (....) تنهض على أساس مادة تاريخية لكنها تقدم وفق قواعد الخطاب الروائي (القائم على البحث التخيلي مهما كان واقعيا أو حقيقيا) وهذا التخيل هو الذي يجعلها مختلفة عن الخطاب التاريخي>>.[2] وهذا يعني أن الرواية التاريخية هي تجاوز للخطاب التاريخي من خلال الإبداع السردي الذي يحرص عليه الروائي.

ب_محمد نجيب لفتة:

يقول أن الرواية التاريخية << هي إعادة بناء خيالية للماضي تتناول أساس حياة جمع من الناس وعاداتهم وتقاليدهم>>.[3] أي أن الرواية التاريخية على حد تعبيره تصوير لفئة أو مجتمع وعاداته وتقاليده في فترة زمنية معينة.

1-سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، الدار العربية للعلوم الناشرون، المغرب، ط1، 2012م، ص159.
2-المرجع نفسه، ص159.
3-محمد نجيب لفتة، ولتر سكوت والرواية التاريخية، المجلة الثقافية، الأردن، ع40، 1997م، ص185.

ج_سمير روحي الفيصل:

يقول في تعريفه للرواية << أن الرواية التاريخية ليست تاريخا وإنما تتعامل مع التاريخ وهذا التعامل يفرض عليها حدودا هي قيودها وأول هذه الحدود والقيود أن تبقى الرواية مخلصة لطبيعتها الفنية ولا تتحول إلى كتاب من كتب التاريخ، وثانيها أن تستعير من التاريخ دون أن تحور فيه، وثالثها أن تبقى تتلاعب بسياقه وحقائقه ودلالاته>>.[1]

أي أن بين الرواية التاريخية والتاريخ حدا فاصلا رغم اشتغال الرواية التاريخية على مادة التاريخ فهناك دائما فرق بين الخطاب التاريخ والخطاب الروائي.

ثالثا: نشأة الرواية التاريخية

1-في الأدب الغربي:

<< يكاد يجمع اغلب نقاد نظرية الأدب أن هذا الجنس الروائي يعتبر دخيلا على تأجيله ببعث الماضي، والتراث العربي لكنه في واقع الأمر يجاري الموضة الغربية الأوروبية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر>>.[2]

أي أن نشأة الرواية التاريخية في الأدب الغربي ليست حديثة كما في الأدب العربي حيث تعود نشأتها إلى القرن التاسع عشر، لكن لا يخفى على القارئ وجود بعض الأعمال الأدبية التي تعد جزء من الرواية التاريخية مثل القصص التي تروي بطولات وبعض الملاحم.

وتعود الرواية التاريخية إلى <<ألبير ولتر سكوت>> هو واضع أساس الرواية التاريخية الفنية، ومعظم الذين جاؤوا بعده اهتدوا بهديه وضربوا على قالبه وكانوا من

1-سمير روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتجار الكتاب العربي، دمشق، دط، 2003م، ص66.

2-سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة، المجلة الثقافية، نقلا عن الموقع http ;www.aud nad.not.2014_2017.(14 :03).)

تلاميذه وإتباعه سواء أدركوا ذلك أم لم يدركون، كما أن الظروف التي نشا بها والتر سكوت، قد عرفت بفترة إحياء التراث التاريخي أن بعث التاريخ بعثا جديدا وبروح وأنفاس جديدة، لكن كتاب التاريخ في القرن التاسع عشر برغم إجابتهم أحيانا تجديدهم لكتابة المادة التاريخية إلا انه كان ينقصهم أمر هام وهو فهم نفسية العصور الوسطى التي يصفونها أو يؤرخون لها وقد استطاع والتر سكوت بخياله الواسع وعطفه الشامل أن يعرض على قرائه صورا تاريخية نابضة بالحياة ملونة باللون المحلبي>>.[1]

وبعد ما حققه والتر سكوت في الرواية التاريخية أدى إلى انتشارها انتشار واسع جعل هذا النوع يصل إلى الروائيين الأوروبيين ومن بينهم نجد "بلزاك"<< الذي أضاف للرواية التاريخية ما يسمى وصف تاريخ العادات حيث أصبح هو المجتمع، ونجد كذلك الكاتب الفرنسي "الكسندر ديماس" أدب التاريخ الفرنسي عام 1849م ابتداء من عصر لويس الثالث عشر في العهدة الملكية وحققت نجاحا منقطع النظير و"فكتور هيغو"و "فولبير" وغيرهم>>.[2]

هكذا أخذت الرواية التاريخية في النشوء في الوسط الغربي لإعادة كتابة وإحياء التاريخ والتراث القديم وإحياء الشعور والإحساس والقومية.

2_في الأدب العربي:

لقد كان ظهور الرواية التاريخية في الأدب العربي وليد الترجمة حيث قام العديد من الأدباء العرب بترجمة مجموعة من الأعمال الأوروبية مثل "سليم البستاني" ترجمة "إلياذة هوميروس"، أما الأفلام العربية التي كتبت في الرواية التاريخية فنجد جورجي زيدان فقد برز في الرواية التي تعيد تاريخ الإسلام مثل رواية "عذراء قريش" وغيرها الكثير، وبهذا يمكننا القول أن جورجي زيدان هو أب الرواية التاريخية.

1-نواف أبو ساري، الرواية التاريخية (مولدها أثرها في الوعي القومي العام)، دراسة تحليلية تطبيقية، د ط، بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م، ص27.
2-سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة، الموقع السابق.

ومن بعده نجد من نهج نهجه ومشى على خطواته ويقول جرجي زيدان:(قد رأينا بالاختيار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في المطالعة والاستفادة منهم خصوص وأننا نثني جهدنا أن يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج، ومنهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية وإنما جاء بحقائق في سرد الحوادث التاريخية على حالها ونسج في مجالها قصة غرامية تشوق القارئ إلى إتمام قراءتها>>[1].

أي أن جرجي زيدان من خلال هذا النوع الذي ادخله إلى الأدب العربي كان يرمي إلى تعليم الجيل الناشئ وترغيب القراء في الاطلاع على تاريخ الأمة بحيث يغلب الأحداث التاريخية أو التاريخ عن الرواية لا العكس.

-أهداف الرواية التاريخية ودوافعها:

لطالما كانت الرواية التاريخية وفي كثير من الأحيان رداءا ساترا لتغيير عن وقائع كثيرة في البلاد حيث كان لها الكثير من الأحداث التي يريد الروائيين من خلالها الوصول إليها من أهم هذه الأهداف والدوافع نجد:

-تعليم التاريخ بأسلوب الرواية لترغيب الناس في مطالعته.

-إحياء الماضي وبعثه من جديد وخاصة المجيد منه لبث روح الاعتزاز والفخر بالتاريخ الوطني.

-إسقاط الماضي على الحاضر، بتصوير الحاضر ومناقشة قضاياه خلال النظر إلى الأحداث والمواقف المتشابهة له بالتاريخ.

1-جميل حمداوي، روايات حرب زيدان بين التاريخ والتشويق الفني، مسير الثقافة والفكر، نقلا عن الموقع.(www.diwond alarob.com _24-03_14 :00)

-الهروب إلى التاريخ نتيجة لانتشار حالة اليأس والإحباط وفقدان الأمل التي يعيشها الناس.

-الإبداع الفني بإعادة صياغة وتقديم التاريخ صحيحا فقد يشوب هذا التاريخ بعض التزييف ممن قاموا بكتابته[1].

مما سبق تتضح الأهمية البالغة للرواية التاريخية فهي ليست فقط نقلا لمادة التاريخ الخام بل هي تعمل على صهرها وصبغها في قالب يجعل منها في اتصال دائم بالحاضر والمستقبل، فهي همزة وصل بين وقائع الماضي وما يحدث في الحاضر وما هو آتي في المستقبل.

المبحث الثاني: التاريخ بين الأدب والرواية والهوية

1-علاقة التاريخ بالأدب:

في إطار العلاقات الوثيقة بين مختلف العلوم الإنسانية هناك علاقة وثيقة بين التاريخ والأدب، فالتاريخ هو بمثابة المادة الأساسية للأدب فكل منهما يعتمد على الأخر في دراسته، فمثلا التاريخ يعتمد على المصادر الأدبية في معرفة أحوال الماضيين<< فلا غنى لدارس المجتمع العباسي من الاطلاع على ما ورد في تأليف أدباء ذلك العصر أمثال الجاحظ والمسعودي وابن عبد ربه وغيرهم.....كما لا يمكن لدارس المجتمع الفرنسي في القرن التاسع عشر التغافل عما ورد في مؤلفات بلزاك(balzac) وزولا(zola)، كما لا ينكر احد قيمة الشعر الجاهلي كمصدر هام من مصادر دراسة المجتمع العربي القبلي قبل الإسلام>>.[2]

1-محمد محمد حسن طبيل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، ص ص08_09.
2-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2000، ص136.

فللأدب مساهمة كبيرة في التاريخ ومعرفة حياة السلف، كما أن التاريخ يمكن أن يكون إلهاما وتجربة يخلق من خلالها عمل أدبي، وقد يكون الماضي أنسب لإنشاء هذا العمل الفني لأن << الأدب وثيق الصلة بالتاريخ فهو مرآة العصر وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه يفصح عن دخائل البشر ويصور أحلامهم وأمانيهم ويرسم نواحي مختلفة من حياتهم ومن حياة المدنية والريف ومن العلم والفن والحرب والسلام>>.[1]

التاريخ حجز مكانته في الأدب وهذا من خلال دخوله في كتابات الأدباء ومؤلفاتهم لأنه إحدى أدوات الثقافة التي تحدد من خلاله هوية وماهيته الناشئة، فكلاهما يكشف عن الوجود الإنساني عبر العصور والأزمنة، فالتاريخ كان منذ بداياته نوعا من أنواع الأدب وهناك رابطة عضوية تجمع بينهما، لا يمكن أن نجد مؤرخا يكتب التاريخ دون رجوعه إلى الإبداع الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا.

تعد علاقة التاريخ بالأدب من القضايا النقدية التي لفتت نظر الباحثين والنقاد إذ أن التاريخ يهتم بالحقائق لتحقيق الموضوعية والأدب إبداع يراهن على الخيال ليحقق الجمال وذلك يعتمد على الكيفية التي وصف بها التاريخ حيث يرى "سكوت"<< أن التاريخ يعني بطريقة أولية مباشرة مصائر الناس واهتمامه الأول هو حياة الناس في مرحلة تاريخية معينة وليس عند ذاك إلا أن يجسد مصير شعبيا ما في شخصية تاريخية ويبين كيف أن أحداث كهذه متصلة بمشاكل الحاضر>>[2]، وهذا يعني أن التاريخ يؤدي دور مهم في تجسيد مصير الشعوب والمجتمعات.

والتوظيف الدلالي للتاريخ في مجال الإبداع الفني << عموما يفرض على المبدع أن يختار من تلك الأحداث والشخصيات ما يرى انه ذو دلالة خاصة وقد تكون نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك، ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء

1-قاسم يزبك، التاريخ، منهج البحث التاريخي، ص64.
2-جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ص117.

فني متكامل، تحقق فيه السمات الفنية للعمل الإبداعي الناجح ولكن أهمية التوظيف الدلالي للتراث التاريخي ولا تكمن فقط في وعي الكاتب بالتاريخ ولكن تكمن بالأساس في وعيه أيضا بالواقع>>.[1]

إن المبدع يتصرف في التاريخ بما يتناسب مع عمله الفني مع ضرورة معرفته للواقع المعاش آنذاك. بيد أن الأمر لا يتوقف هنا بل يتخطاه إلى الهدف والغاية لكل من الأدب والتاريخ:<< الخطاب التاريخي يسعى إلى تقديم حصيلة من النتائج المترتبة عن واقع معين وأحداث محددة جرت في زمن مضى فخطاب التاريخ يرتبط أساسا بالماضي الذي يشده إليه ويبعده عن الغلو بخياله ومفاجأته وهو الشيء الذي يهدف إليه خطاب الأدب قبل كل شيء>>.[2]

إن سعيد سلام يرى أن التاريخ يقوم بالتنقيب والبحث في الماضي عند الحاضر والمستقبل ومعرفة ما يحمله من مفاجآت وهذا هو دأب الأدب حيث يقوم بتصوير وتجسيد هذه الوقائع الماضية في قالب مختلف كالرواية والشعر وغيرها من الفنون الأدبية، وهذا يكمن في الاختلاف بين التاريخ والأدب أي في كيفية تناولها لتلك الأحداث حيث يقول سعيد سلام في كتابه التراث النصي:<< ثم إن خطاب التاريخ يتسم بطبيعته التقريرية المباشرة الجافة، وهو إن حاول أن يكتب قصة أو حكاية أو رواية فانه يهدف أساسا إلى تقديم النتائج المترتبة عنها والمبلورة مباشرة في ذهنه، دون إعطاء أي اختيار لعنصر التشويق والمتعة في الموضوع >>[3] حيث أن الأدب يزيل هذا الجفاف والملل من الأحداث التاريخية، فالعلاقة الجدلية بين التاريخ والأدب واردة رغم ما يكتنفها من غموض واختلاف في بعض الأحيان.

1-سعيد سلام، التناص التراثي(الرواية الجزائرية نموذجا)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010م، ص178.
2-المرجع نفسه، ص181.
3-المرجع نفسه، ص182.

إذ نجد أن << المؤرخين ظلوا زمنا طويلا يتعاملون مع التاريخ على انه فرع من فروع الأدب، في تراثنا العربي وفي تراث الأمم الأخرى على سواء ولهذا حلفت كتب التاريخ القديمة بأمثلة التداخل بين الأدب والتاريخ....ومن ينظر في كتب العرب فسيجد مزيجا مدهشا من الأدب والتاريخ من كتابات مؤرخي السيرة الأوائل حتى ابن إياس بل وحتى الجبرتي>>[1]، ومنذ القدم يعتبر التاريخ جزء لا يتجزأ من الأدب إذ كل منهما يكمل الأخر حيث تربطهم علاقة تكامل.

2_علاقة التاريخ بالرواية:

التاريخ والرواية وجهان لعملة واحدة فالعلاقة بينهم علاقة وطيدة حيث<< تزامن صعود الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر مع صعود "علم التاريخ" اتكأ الطرفان على مقولة الإنسان الباحث عن أصوله بعد أن رأى في ذاته أصلا لما عداه>>[2]، فالرواية تعاملت مع كل طبقات المجتمع.

إذ << نشأت الرواية التاريخية في مطلع القرن التاسع عشر وذلك زمن انهيار نابليون تقريبا إذ ظهرت "رواية سكوت" "ويفرلي" عام 1814م>>[3]، ولكن هذا لا يعني انه لا يوجد روايات ذات موضوعات تاريخية قبل التاريخ المذكور.

كما أن الرواية أصبحت محل احتفاء حقيقي في الوطن العربي أكثر من النصوص السردية الأخرى من قبل جمهور الباحثين والنقاد حيث قيل: انه ديوان العرب في القرن العشرين، والتاريخ في شكل من أشكاله هو نوع من الرواية بكل تحليلاته الثقافية والسياسية والاقتصادية، << فالروائيين يستخدمون التاريخ ليكون بمنزلة "المادة الخام" لرواياتهم...وقد برزت أسماء كثيرة في مجال "الرواية التاريخية" في الأدب العربي الحديث

1-قاسم عبد قاسم، بين التاريخ والأدب، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2008م، ص14.
2-فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، دار البيضة، المغرب، لبنان، ط1، 2004م، ص05.
3-جورج لوكتاش، الرواية التاريخية، ص11.

ومن أشهرهم جورجي زيدان والعريان وسعد مكاوي، ومحمد فريد، أبو حديد وابن كثير... وغيرهم في الأجيال القديمة وجمال الغيطاني ويوسف العقيد والدكتورة رضوى عاشور ثم سلوى بكر وعلاء الأسواني وغيرهم في الفترة المعاصرة>>[1]، وجورجي زيدان اخرج مجموعة من الروايات التاريخية التي أعادت الإسلام بأسلوب قصصي ومثال ذلك رواية "عذراء قريش" فهو لم يعد التاريخ بطريقة إلية وإنما أخضعته لإعادة التركيب والربط وهو من أوائل الممهدين لظهور الرواية التاريخية.

بما أن الرواية من ابرز فنون الأدب حيث أنها تتميز بالانفتاح على غيرها من العلوم الإنسانية وهذا لقدرتها الهائلة على استيعاب النصوص والخطابات والأشكال التعبيرية المختلفة مما جعلها متشعبة بكل المعارف الفنية والفلسفية والعلمية والتاريخية، غير أن هذه الأخيرة كان لها الحظ الوافر في الكتابات الروائية لأنها تعمل على إعمال خيالهم وإلهامهم في استنباط مواضيعهم. مثلا << ما فعله ثوكيد يديس المؤرخ اليوناني وهو يتحدث عن قادة أثينا في الحرب البلوبونيزية بين أثينا واسبرطة أو ما فعله المؤرخون المسلمون حيث نسبوا خطابات أدبية بليغة إلى عمر بن العاص، وهو يصف ارض مصر في فصول السنة أو ما وضعة المؤرخون على لسان طارق بن زياد وأثناء فتح الأندلس، بل إن مؤرخا في وزن ابن باديس صاغ رواية متكاملة عن الأيام الأخيرة في حكم سلاطين المماليك والتي انتهت بجثة طومانباي معلقة على باب زويلة في مشنقته>>[2]، وهذا يعني أن التاريخ يستعين بالأدب في التاريخ الأدب يستعين بالتاريخ ليبدع إذ يمكن القول أن التاريخ نوع من الرواية أي أخذت أشكالا وأبعاد مختلفة في تعاملها مع التاريخ. << حيث أصبح رهانا تستند إليه الرواية، رغم صعوبة توظيفه وتمثل أشكاله وصعوبة المهمة تكمن في أن النص الروائي الذي يستند إلى التاريخ في متنه الحكائي تكتنفه مرجعيتان ويتنازعه طرفان، يتعالقان أحيانا ويفترقان أحيانا كثيرة يتعالقان

1-قاسم عبدة قاسم، بين الأدب والتاريخ، ص16.
2-المرجع نفسه ، ص15.

لأن كل منها يعبر عن واقع ويعيد تشكيله بلغته الخاصة ويختلفان في طريقة بناء وإعادة تشكيل هذا الواقع داخل النص>>.[1]، التاريخ يعتمد على الحقائق الواقعية أما الرواية تعتمد على الخيال.

فالناقد"غراهام هو" شرح العلاقة بين الرواية والتاريخ وأكد أن << كل الروايات إذا أخذنا الرواية بمعناها العام، وهو ارتباطها بالواقع المعيش وتصويره، لكن الرواية المعاصرة على الرغم من تركها للتاريخ لم تستطيع أن تتخلى نهائيا وما أقصى ما فعلته هو انه كانت بدلا من كونها حليفة ومعانقة له فالنصوص الروائية العربية الحديثة تتشكل، على إحدى العلاقات التي تقيدها مع التراث والتاريخ العربي القديم حيث كانت هذه العلاقة منطلقا لانجاز أعمال روائية كانت من ابرز الفنون الإبداعية قدرة على وصف الواقع والتعبير عن جانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كافة، لذلك فان ارتباطهما بالتاريخ يجعلها المرجع الحقيقي والأصلي الذي نستطيع من خلاله قراءة التاريخ بشكل قد لا نقراه في كتب المؤرخين التي قد لا يحمل المؤرخ أثناء كتاباتها ما يحمله الروائي من أحاسيس وانفعالات وسيما خفايا الذاكرة. فالرواية هي تاريخ متخيل داخل تاريخ الموضوعي كما سبق القول>>.[2]

الرواية تمكننا من الاطلاع على التاريخ دون الشعور بالملل والضجر على الرغم من هذا كله<< تبقى العلاقة بين التاريخ والرواية علاقة تكامل واعتماد متبادل، فالرواية مصدر مهم من مصادر المؤرخ الذي يريد أن يفهم مجتمعا ما في فترة تاريخية ما، فالرواية التي لم تكتب بقصد أن تكون تاريخا تظل من أهم المصادر التاريخية لمعرفة النظام القيمي والأخلاقي والعادات والتقاليد، والمشاعر والأحاسيس، ورؤية الناس لدورهم وعلاقتهم بالآخرين داخل مجتمعهم وخارجه فضلا عن أنماط الملابس وأنواع الطعام

1-منصور قسومة، الرواية العربية، الأشكال والتشكل، دار سحر للنشر، 1997م، ص55
2-محمود أمين العالم، الرواية بين زمننا وزمنها، مج فصول، ع12، مجلد 1، 1993م، ص13.

ورأيهم في ما يدور حولهم من أحداث وفيمن يحكمونهم>>[1]، لا يمكن لأحد من الباحثين أن يرغم فهمه لتاريخ مجتمع ما إلا إذا كان مطلعا على آدابه وفنونه كالرواية وغيرها.

3_علاقة التاريخ بالهوية:

التاريخ من العلوم التي لقيت اهتماما بالغا من طرف المؤرخين والباحثين العرب وغير العرب اجتهدوا في دراسة الماضي وذلك بالتركيز على الأنشطة الإنسانية أو على الماضي البشري ذاته <<فالإنسان إذا عرف أمور جنسه يعرف أمور نفسه>>.[2]

فالتاريخ لا يكتب من عدم فهو يبحث عن مخلفات الإنسان من أثار سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة فهو علم لانهاية له مستمر باستمرار الحياة، فأول بديات ظهوره كانت صورة بدائية حينما اخذ الإنسان يروي لأبنائه حكايات أسلافه ممتزجة بالأساطير والخرافات والمعتقدات السائدة آنذاك إذ هو المرآة العاكسة التي يتمكن الإنسان من خلالها تحديد هويته وماهيته، لذلك يجب على المؤرخ أن تتوفر فيه الصفات الضرورية وان تتحقق له الظروف التي تجعله قادر على دراسة التاريخ وكتابته.

فمن الصفات التي يجب توفرها في المؤرخ<< أن يكون محبا للدرس جلدا صبورا فلا تمنعه وعورة البحث والمصاعب والعقبات من مواصلة العمل ولا توقفت ندرة المصادر، ولا يصرفه عن عمله غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها وينبغي عليه أن يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد إلى آخر في وطنه وخارج وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يفيده، وينبغي عليه ألا يتسرع أو يقتضب تعجيلا لنيل منفعة لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية، إذ أن لا رقيب عليه غير ضميره. كما يلزم للمؤرخ أن تتوفر له ملكة النقد فلا

1-قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، ص18.
2-هارلي بوتر، المنهج القديم في التاريخ القديم، د ت، بيروت، 1884م، ص05.

يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقرار>>.[1]

فليس من يسطر صفحات طويلة من حوادث ماضية نقول عنه مؤرخا، فالتاريخ هو تفاعل بين الإنسان والزمن والمجال فمن خلاله نسعى إلى تحديد هوية الإنسان في الماضي والحاضر، أن الغاية الجوهر والأساس لتاريخ تكمن في فهم قيمة الأحداث والفهم لا يكون إلا إذا تدخلت العوامل المساهمة قي صنع الحدث التاريخي (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخلية وخارجية).

ومن العرب الذين تطرقوا لمفهوم التاريخ وغايته وفوائده نجد ابن خلدون في مقدمته إذ رأى أن علاقة الإنسان بتاريخه علاقة جدلية وفي هذا السياق يقول<< .....إنه خير عن علم الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم عن بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم في الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال>>.[2]

فحسب التعريف الخلدوني الإنسان هو الذي يصنع التاريخ وهذا من خلال أعماله وصنائعه، فتغير العمران البشري يبين مدى تطور الإنسان على مرور الأزمنة والعصور، فالخلف يتغذون من حوادث السلف في كل المجالات سواء أكانت صغيرة أم كبيرة.

فالعالم قبل نابليون يختلف عن العالم بعده والدنيا قبل الحرب العالمية الثانية تختلف عن العالم بعدها، وهذا يلخص لنا فائدة التاريخ عند ابن خلدون بقوله:<< الاقتداء

1-قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ص ص46-47.
2-ابن خلدون، مقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م، ص57.

بالأحوال الماضية في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم>>.[1] فالإنسان بحاجة إلى ذاكرة تخلد أعماله.

كما أن التاريخ أيضا يساهم في إثراء خيال القصاصين والروائيين الذين ينطلقون أحيانا من حوادث تاريخية لكتابة قصصهم أو رواياتهم على غرار ما فعل الكاتب الفرنسي "فوليار" في قصته "صلامبو" أو جورجي زيدان في رواياته التاريخية العديدة....>>.[2]

بالإضافة إلى هاته الروايات نجد رواية الديوان الاسبرطي لعبد الوهاب عيساوي التي استمدت كل أحداثها وشخصياتها من التاريخ وقد مر بعدة مراحل لكي يصل إلينا، فهو أم يكتب من عدم وإنما كانت نتيجة لأثار مكتوبة وغير مكتوبة وهذه الأخيرة تتمثل في الشهادات الشفوية لشهود عيان عاشوا الأحداث أو كانوا احد أطرافها، أما المكتوبة فتتمثل في الوثائق التاريخية الموجودة في الأرشيف وتوجد عدة أصناف لهذه الوثائق نذكر من بينها:

_الوثائق السمعية البصرية: هذا الصنف من الوثائق في تطور مطرد في السنوات الأخيرة بسبب الاستعمال المكثف لراديو والتليفزيون والسينما والفيديو.

_المؤلفات الأدبية: توفر معلومات عن الأوضاع الاجتماعية(طرق العيش، أنماط الحياة، العادات....) يكفي أن تذكر بأهمية الشعر الجاهلي في وصف المجتمع العربي قبل الإسلام أو قصص الكاتب الروسي "تلستوي"، في وصف المجتمع الروسي.

_الأعمال الفنية:

نذكر أهمية اللوحات الفسيفسائية في دراسة المجتمع الروماني أو لوحات الرسامين الايطاليين والهولنديين لفهم عصر النهضة الأوروبية.

1-ابن خلدون، مقدمة، ص12.
2-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، ص25.

_الوثائق الأثرية:

تشكل مجموعة المخلفات الأثرية من عمارة ونقائش ومسكوكات وخزفيات....[1].

هذه الوثائق المنوعة تنتج لنا معرفة التاريخ فهي ضرورية لاستعادة الماضي حتى انه يمكن القول انه يستحيل كتابة التاريخ دون وثيقة، إلا أنها لا تكون دائما صادقة لذا يجب التعامل معها بكل حذر ويقظة.

<<إذا كان التاريخ هو الذاكرة الجماعية لأمة أو قبيلة أو فئة حرفية فان كل مخلفاتها دون استثناء تشكل مقومات ذاكرتها، فلا فرق آنذاك بين العمارة والأثر المكتوب أو غير المكتوب والأحداث الهامة والأفكار التي تعبر كلها عن ماضي المجموعة، فالذاكرة هي كل ذلك وهي مرتبطة بكل المقومات المحسوسة وغير المحسوسة بما في ذلك مخيال تلك المجموعة البشرية والمكونة "لمواقع الذاكرة" المشتملة على كل مكونات التراث (الثقافي، البيئي، المعماري، الفني).

بما في ذلك حدود القطر وتاريخه ومعالمه وعاداته وتقاليد ومشاهده الريفية والمدنية ونظمه السياسية...وهي المكونة لأبعاد التراث التي انفكت تتسع لتشمل كل مخلفات الماضي القومي والعالمي أحيانا>>.[2]

لا وجود لهوية الفرد إلا إذا وجدت هوية الجماعة وهذه الأخيرة لا تتحد إلا إذا عدنا إلى الذاكرة الجماعية واعدنا بناء أحداثها التاريخية لان الهوية تراكمية لها فالعادات والتقاليد والأخلاق تميز الأمم عن غيرها، بها يتحقق ازدهارها وتقدمها وبدونهما تفقد الأمم كل معاني وجودها واستقرارها، فالتاريخ لا يسأل هو يسجل أسبابا ونتائجا ساهمت في تشكيل هوية وماهية الإنسان والتأكد من عدم تعرضها للانتحال والكذب والنفاق والتدنيس

1-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، ص43-44.
2-المرجع نفسه، ص20.

كما انه يساهم بقسط وافر في فهم ما يجري حولنا من أحداث جسام تتم بنسق سريع جدا خاصة الأزمات التي يمر بها العالم حاليا.

الفصل الثاني:تشكلات التاريخ والهوية في الديوان الإسبرطي

المبحث الأول: تمثلات الهوية في الكتابة السردية

المبحث الثاني: تمثلات التاريخ في الديوان الإسبرطي

1-الانتماء والوعي الثوري:

-الانتماء هو الجزء الأكبر من ذاكرة الإنسان، أي ما يكون شخصيته هو الانتساب إلى جماعة معينة أو أمة أو وطن، يعتز به وقد: << أصبح من أهم شروط الوجود المميز للجنس البشري ومن أقوى دوافع السلوك الإنساني، لذلك كان الإنسان دائما منتمي إلى العشيرة أو القبيلة>>[1].

من خلال هذا التعريف نستنتج أن الانتماء الاجتماعي مكون رئيسي لاستمرارية بقاء الفرد وعامل أساسي لتكوين الهوية.

ويمكن أن نعرفه على أنه:<< العلاقة الايجابية الحياتية التي تؤدي إلى التحقق المتبادل تنتقي منها المنفعة بمفهوم الربح والخسارة وترتقي إلى العطاء بلا حدود الذي يصل حد التضحية ويتجلى الانتماء بصورة عالية عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي>>[2].

أي أن أسمى مراتب الانتماء هي تلك التي تتعرض فيها الأرض إلى السلب. حيث يقاوم ويناضل الإنسان من أجل تحقيق العدالة والحفاظ على الوطن والهوية لبناء شخصيات مستقلة قادرة على إدارة شؤون بلدها وأدرى بمصالح أهلها وشعبها.

وهذا ما نجده واضح وجلي في رواية الديوان الإسبرطي من خلال شخصياتها التي تسعى وراء طرد كل وجود أجنبي في المحروسة وشخصية السلاوي أهمها حيث يقول:<< يمتد السواد أزرق يميل إلى السواد تقبل موجاته المعتمة شفاه الصخور...وبدا لي أنتي أنت حية مكانها تحت شجرة، استندت إلى جذعها وأطلقت العنان لأحلامي>>[3].

---

[1]-عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية وفكرة الانتماء الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، العدد 26، ص116.

[2]-المرجع نفسه، ص116-117.

[3]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط السادسة، 2020م، ص217.

جعل عبد الوهاب عيساوي من شخصية السلاوي صوت الثورة الرافض فكان دائم الحسرة والأسف على ما آلت إليه المحروسة وهو يتأمل زواياها، حالما بمدينة عامرة.

ولم يكن الانتماء في الرواية محصورا على أهل المحروسة وحبهم لها، بل حتى الشخصيات التي صورتها الرواية على أنها استعمار، كانت متمسكة، بانتمائها لتاريخها وحضارتها بحيث تتكلم شخصية كافيار قائلة:<<...كنا سعداء ونحن نستقبل التحايا من قائدنا ظل يطوف بين الصفوف. ويهتف الجنود بحياته ولو لم يمت مبكرا لا انتظرت انبعاثه من جديد، بعض الرجال مثل الفنيق، ليس موتهم إلا مرحلة من مرحلة من مراحل حياتهم، أذكر أنني قفزت فرحا عندما سمعت بفراره من منفاه في آلبا، قلت في نفسي الوداع لهؤلاء الملوك وفعلا لم يمض إلا شهر على فراره حتى استعاد جيشه. لا يمكن أن يفعل هذا إلا نابليون يا ديبون>>[1].

يعيد هكذا هذا المشهد إحياء ذكرى قائده، فرحا بما حققوه ويشيد بشجاعته وقوة تحكمه في جيشه فبعودة القائد تتحقق الانتصارات وترسو جذور الشعب ويتجدد انتمائهم.

و<< امتداد الشخصية الثورية والوعي بالقضية الوطنية والانتماء إلى الوطن والتضحية من أجله على مدار مراحل المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر، يرمي إليها الروائي بكل ذكاء. عندما يشفى السلاوي من جرحه البليغ في رجله في معركة سطاوالي، ليقرر بعدها مباشرة الالتحاق بجيش الأمير في الغرب الجزائري دوجة وراءه تنتظره وتحس يومها أن انتظارها هذا يختلف عن سابق عهده فقد استقر في قرارة نفسها شيء يقول لها أن عودة السلاوي هذه المرة مختلفة وعودته هذه أثبت وأرسخ وأوثق وأبلغ>>[2].

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط السادسة، 2020م، ص217.
[2]-المصدر نفسه، ص31.

كان الانتماء إلى هذا الوطن وهذه الأرض راسخ في شخصيات الرواية الثلاث (دوجة، ابن ميار، السلاوي)، رغم اختلاف شخصياتهم وتفكيرهم، فكل كان يرى المحروسة من وجهة نظره الخاصة.

فشخصية ابن ميار، ابن المحروسة، المدينة التي تحرسها يد الله في نظره، وهي المدينة الرافضة لكل وجود أجنبي، الأبية في نظر السلاوي.

هي المحروسة لا شيء آخر، هي المحروسة بكل ما فيها من اختلاف وتباين.

حتى "دوجة" التي ومنذ وصولها مدينة المحروسة وهي تصادف أسوء أيام حياتها، كانت تحكي وتروي حكاياتها داخل هذه المدينة بكل تفصيل صغير. تلك المدينة التي دخلتها حالمة مدينة أحلام الطفولة التي لطالما رغبت في زيارتها، << إذن هذه هي المحروسة التي تمتلئ حوانيتها بالطيب والقماش الحريري وحلوى الطحين !عبرت شوارع أخرى حتى كنت في باحة واسعة بها أناس كثيرون وعلى أطرافها حوانيت، هذا هو سوق المحروسة الذي حدثني عنه أبي>>[1].

كان الأمل في مدينة مستقلة مصان أهلها: أمل كل أبناء المحروسة ولكن اختلاف وجهات نظرهم جعلت كل واحد منهم ينظر للمحروسة من جانب مختلف وكل يناضل نضال مختلف، حمة السلاوي لا يؤمن إلا بالثورة وأن المحروسة لن تعود إلا بالثورة كان متحسرا أسف على حالها في كل أجزاء الرواية، في حين كان ابن ميار يؤمن بأن عرائضه للحكام الأتراك سيعيد مجدها، كان أمله فيهم أكبر بكثير من أن يخيب بهذه الطريقة يظهر ذلك في حوراته مع نفسه داخل الرواية حيث يقول:<< يومها كانت المحروسة عرسا لنا ولهم، وبعد رحيلهم أضحت مدينة تختلط فيها الدماء بالغبار، ترى لما

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص235.

حدث هذا، لم رحلوا، وأين سلطان البر والبحر، ولم يجيب على العرائض التي أرسلها>>[1].

يظهر هنا انتماء ابن ميار إلى هذه الأرض وهذه المدينة ولكن دون أن ينسى الأتراك الذي يعتقد أنه وبفضلهم كانت المحروسة مدينة الأعراس.

2-قضية الدين في الديوان الإسبرطي:

لم يصور الكاتب عبد الوهاب عيساوي في الرواية قضية التاريخ فقط أو الهوية فقط بل، كانت الرواية مبنية على المعتقدات الدينية المختلفة، على التقاليد على أسماء الشخصيات، المذاهب والأعراف، وكل ما كان متعايشه على أرض المحروسة ليشكل لنا بناء الهوية الجزائرية، أو هوية أبناء المحروسة بلغة الرواية.

ومن أهم ما يشكل هذه الهوية نجد المذاهب الدينية والمعتقدات السائدة فإذا أمعنا النظر نجد أن على امتداد الرواية صور الروائي الدين عند أبناء المحروسة ولخصه في بعض المعتقدات أو الخرافات إن صح التعبير ويظهر ذلك في انتظارهم ذلك الطائر وإيمانهم بالإشارات التي كانوا ينتظرونها قبل أخذ أي قرار.

كما يصور لنا من جهة أخرى الدين عند الفرنسيين، عند ديبون بصورة حامة متوهمة أي مجرد مبادئ أو آيات من الكتب المقدسة عندهم، لا نقاط تشابه بينها وبين ما هو واقع.

أول ما بدأ به عبد الوهاب عيساوي هو شخصية ديبون الحالمة بنشر تعاليم المسيح ونوره في بقاع الأرض، في إفريقيا حين يقول:<< تحركت السفن تجاه إفريقيا

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص235.

تحمل التعاليم الجديدة التي ستغير الناس،ستكون حتما مثل أولئك الحواريين الذين تفرقوا في بقاع الأرض لنشر كلمة الرب>>[1].

صور الكاتب الصورة الحالمة لهذه الشخصية التي تعكس جزء كبير من الفرنسيين الذين ينظرون إلى هذا الاستعمار وهذا السطو على أنه ثورة من أجل إعلاء تعاليم دين المسيح، لا من أجل القتل والسلب والنهب وإراقة الماء التي هي في نظرهم مخالفة لما جاء به المسيح.

كان لا ينفك يمنعهم ويرفض الكثير مما كان يحدث في المحروسة وإفريقيا، ولا تجرح شخصية ديبون على طول الرواية عن الطابع الديني وعن تذكير هؤلاء الفرنسيين القائمين على الحملة أن ما يحدث يتنافى مع تعاليم الدين، << الرب الذي أؤمن به لا يفرق بين السود والبيض إلا عندنا نحن الفرنسيين>>[2]. كما صور الروائي حسرة ديبون على ما آلت إليه أحلامه عند وصوله وصور مرجعيته الدينية التي جاء محملا بها حيث يقول:<< أين فرحت المسيح ونوره الذي آمنت به، يوم رحيلي عن مرسيليا مثل حاج يهدف إلى أورشتليم؟ أو مثل حواري يغادر المدينة يخبئ الوصايا تحت ثيابه>>[3].

هكذا صور عبد الوهاب عيساوي الدين لدى شخصية ديبون التي تمثل جزء كبير من الفرنسيين، دون أن ننسى ذكر شخصية كافيار التي لا تملك أي مرجعية دينية في تحقيق أهدافها أو الدافع وراء هذا البعد عن الدين في شخصية كافيار هو ما تعرض له أثناء أسره.

مع حب أبناء المحروسة لدينهم وحبهم لمساجدهم وتعلقهم بها، إلا أن حياتهم لم تخلوا من الخرافات والإيمان الساذج ببعض المعتقدات ويظهر ذلك في زيارة ابنه ميار إلى الضريح وأتباعه طائر وانتظار إشارة منه قبل اتخاذ أي قرار، << عبرت الشارع ثم

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص171.
[2]-المصدر نفسه، ص182.
[3]-المصدر نفسه، ص260.

انعطفت شرقا وتجلى لي المسجد الصغير بمئذنته الواطئة ثم دخلته(....) كان الفقراء يفترشون الأرض نائمية فتحت باب الضريح وتركت حذائي هناك ودخلت متمتما بالدعاء، كأني أعتذر إليه عن فراق دام أكثر من شهرين ثم دنوت من ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي(.....)>>[1]. حتى ابن ميار الرجل المثقف الذي كان يمثل الجزائريين في كل مجلس لا ينفصل من الإيمان بهذه المعتقدات وتعد جزء من تكوين شخصيته، << لكن طيرا متغيرا حلق في سماء القبة، صفر ورفرف ثم طاف فوق الضريح وغادر عبر خصاص الباب فتبعته(.....) رأيت الطائر يعود يحلق فوق رأسي ثم يمضي تجاه الضريح أولت المعنى من رحلته، كان سيدي يريد مني السفر إليهم هناك في باريس >>[2]، ولم يقتصر الإيمان بهذه المعتقدات على ابن ميار فقط، بل نجد شخصية دوجة، وهي تسمع لقلقة الطائر أو بكائه وتأويلها أنها إشارة إلى أن أحد الغائبين (ابن ميار، السيلاوي) في خطر أو سيحصل شيء سيء.

أما الحديث عن الدين لدى أبناء المحروسة فهو مختلف تماما عما سبق ذكره، حيث لم يكن الدين مجرد عبادات يؤدونها أو آيات يرتلونها بل كمان جزء مهم من حياتهم، كان الجانب أكثر حضورا في تكوين هوياتهم، لقد كان نظام يحكم كل شيء في حياتهم ليس هناك مجال لفصله عن ممارستهم الحياتية، كان مرتبط ارتباطا شديدا بكل شيء يقومون به، حيث يقول ابن ميار عن ما يراه من هؤلاء الفرنسيين: << لا يفهمون أن نظام الأوقاف كان يسير حياتنا منذ آلاف السنين>>[3]. كان الدين يدرس في المساجد والزوايا، كما يتضح ذلك على شخصية ابن ميار وهو يتذكر كيف كانت مساجد المحروسة في زمن بني عثمان حيث يقول: << في الماضي كان الطلبة يرددون الآيات ويتغنون بالأذكار يرتفع صوت المدرس يحثهم على المزيد (...)التفت إلى الجامع الكبير انتظرت رؤيتهم هناك مجتمعين يقرءون البخاري، أو يتدارسون مختصر خليل أو رسالة

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص54.
[2]- المصدر نفسه، ص55.
[3]-المصدر نفسه، ص50.

القيرواني، بيد أنه كان خاويا منهم ومن الناس، صار مثل أي مؤسسة فرنسية يفتح ويغلق في أوقات الصلاة المعلومة>>[1]. وهكذا امتدت نظرة الحسرة والأسف إلى ما آل إليه الدين والمساجد والزوايا في عهد الفرنسيين << أصوات دمدمة القارئين كانت تتعالى يرددون صورة الفتح وآخرون باتوا ليلتهم يقرؤون البخاري>>[2]. كل تلك الحوارات التي كان يفتحها ابن ميار مع نفسه وهو يجوب شوارع المحروسة، تحيل إلى أهمية معتقداتهم ودينهم ودوره في حياتهم.

وفي مقابل كل هذا نجد في الرواية من يرى أن هذه الأديان والإيمان بها يزيد من سذاجة الناس وأن ارتباط حياة المور بالدين هو ما جعلهم يخضعون لبني عثمان ويرضخون لسلطتهم واستبعادهم حيث يقول كافيار: << كيف جعلتهم التربية الدينية والخنوع للسلطة القاسية على تلك الصورة(...) وعمق الدين من تلك الهوة، كان يدعوهم للرضوخ للحكام وحمل السيوف على المسحيين>>[3] في الوقت الذي يرى فيه أبناء المحروسة دينهم وأوقاتهم هي موروثهم الذي يفتخرون به ويقدسونه يراه غيرهم من الفرنسيين نقطة ضعفهم وسبب احتقارهم حيث يقول كافيار: << لم أدر ما الفائدة من تشابه هؤلاء المور أو البدو ببني إسرائيل كانوا مجرد أبناء عمومة، اختاروا دين آخر زاد من احتقارهم لهم>>[4].

لعب الجانب الديني دور كبير في تشكيل شخصيات عديدة متباينة بتباين ديانتها متعايشة على أرض واحدة وهذا ما ساهم في تشكل الهوية المتشظية على طول الرواية، كل شخصية انطلقت من خلفية جعلتها منبت أفكارها وآمنت بها، حتى ساهمت في تشكل هوياتهم المتباينة.

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص52.
[2]-المصدر نفسه، ص 133.
[3]-المصدر نفسه، ص 195.
[4]-المصدر نفسه، ص 343.

3-اللغة والتعدد اللساني في الديوان الإسبرطي:

شغلت قضية اللغة في الرواية جزء كبيرا منها وذلك لاعتبارها شكل من أشكال الهوية ومقوم من مقومات المجتمع الثقافية، << هي الوعاء الذي يحوي هوية مجتمع من المجتمعات>>[1]. علاوة على أنها << أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم>>[2].

كما نجد تعدد الألسن أيضا في الرواية مسيطر عليها. وكل هذا عائد إلى تعدد الأجناس التي كانت متعايشة في مدينته المحروسة، و << هذا الغزو الثقافي الغربي للبلاد العربية هو نتيجة تفاعلات عدة. من بينها تأثير الاستعمار الغربي للبلاد العربية والذي ترك آثارا سيئة ترسبت في شكل هيمنة لغوية أثر بشكل مباشر على هوية الإنسان الذي ما إن يبدأ في الكلام حتى يختلط خطابه اللغوي بلكنات ولهجات في ديغلوسيا تجعل الملتقي لا يدرك أصل انتماء المخاطب>>[3] هذا ما حصل في مدينة المحروسة التي وعلى طول الرواية نشهد اختلاط اللهجات والألسن وذلك نتيجة ما عاشته من وجود أجنبي في البلاد على مر سنين، حتى أضحى الناس يجهلون من ينتمي للمحروسة ومن لا وذلك لإتقانهم اللهجات المختلفة كما هو واضح في الرواية: << لغات صارت تجري على اللسان مثلما يتكلمها أهلها. الآن لا يجرأ أحد على مخاطبتي بلغة يدعي أنني لا أفهمها>>[4] وهذا هو ما جعل رواية الديوان الإسبرطي تشهد صراع لغوي داخل هذه المدينة.

كذلك التعدد اللساني الحاصل في المحروسة أدى إلى تعدد الهويات والقوميات وساهم في تغيير بناء الشخصيات منذ بداية الحملة الفرنسية لاحتلال المحروسة، وذلك ظاهر في الرواية عندما تتكلم شخصية كافيار قائلة: << تتنوع اللهجات بتنوع الوجوه

---

[1]-كمال الدين عطاء الله، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل، المشرف: عبد القادر شارف، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، ص140.

[2]-أية حسني، الخصائص، تح: محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، د ط، 1997م، ج5، ص 30.

[3]-كمال الدين عطاء، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل، ص 138.

[4]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 266.

مزيج من التركية والعربية وحتى لغات أوروبية أخرى، أجدها ألفاظا فرنسية، والكثير من الإسبانية(...)>>[1] هذا دليل واضح على ما هو موجود اليوم من اختلاط اللهجات في اللسان الجزائري وإن صح التعبير يمكننا القول أن هذا التعدد اللساني خلف أثر شنيع كان اللسان الأجنبي وليده ونتيجة له.

كما نجد الروائي أشار إلى تشكل هوية جديدة أو إلى معركة على الهوية بشكل ضمني، من خلال حديث ابن مبار: << حتى اللغة التي يخاطب بها الناس في الأسواق، كتبوا كل مفرداتها في دفاترهم وحفظوا جمل كثيرة وصار منهم من يتكلم بها>>[2] وهنا يظهر لنا ما كانت نتيجة الحملة الفرنسية في الجزائر من أجل طمس الهوية الجزائرية وهذا يسميه الجابري بالاختراق << وكلمة الاختراق الثقافي تعني وجود علاقة وحيدة الاتجاه تتجاوز بكثير مفهوم الاسترجاع الذي يعني علاقة تنطلق من التابع إلى المتبوع>>[3].

أي أن هذه العلاقة بين الفرنسي والجزائري قائمة على فهم لغة الأرض المستعمرة وفهم طريقة تفكيرهم وعاداتهم واقتحام حياتهم حتى يسهل فيما بعد شرب هذه الهوية ومسحها وإحلال هوية لغة وثقافة أخرى مكانها.

ولأن اللغة هي شكل من أشكال الهوية كان الاحتلال الفرنسي دائما يركز على اللغة، قليل من هوية الشعب الجزائري وثقافته يجب أن يحل لغة أخرى بدل لغته وهذا ما كان يفعله من خلال تشجيعه على اللغات واللهجات المحلية والعرقية داخل المجتمع الواحد وتهميش اللغة العربية الفصحى وبالتالي تمكين لغة المحتل وتحقيق الهيمنة والاحتلال الثقافي يظهر ذلك في شخصية السلاوي حيث يقول: <<وبدأت المدينة تستقطب وجوها لنساء جديدة من أمكنة عديدة حملت معظم لهجاتها المختلفة وأضحت

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص 192.
[2]-المصدر نفسه، ص 206.
[3]-عبد الرزاق بوقطوش، دلالات بعث التاريخ وهاجس الهوية في رواية الديوان الإسبرطي، ص 180.

المحروسة مبغى كبير وأضحى المزوار أميرا عليه>>[1]. وهذا يبين لنا الخطة المدروسة التي كان يتبعها الاحتلال الفرنسي بالتشجيع على اللهجات المحلية، << مزيج من الأصوات واللهجات في سوق الكتان>>[2]. كانوا يحاولون جاهدين محو اللغة العربية الفصحى التي كانت غير ملائمة وغير مناسبة من هذا العالم وإحلال محلها اللغة الفرنسية وهي واضحة أيضا في قول كافيار:<< كم تزعجني الأصوات الصارخة بهذه اللغات>>[3] وهنا تصريح واضح على كرهه للغة أصل المحروسة وللغة التركية على حد سواء.

وعلى الجانب الأخر من الرواية نجد ابن ميار الذي كان يجيد الفرنسية بطلاقة ومع ذلك يرفضها كلغة لأهل المحروسة متسائلا سيجدى إذا صارت هذه اللغة لغة هذه المدينة وكيف ستسع واحدة ومدينة واحدة للغتين مع حين يقول:<< بتلك الحروف اللاتينية بذا اسمي غريبا، أيعقل تصبح كل أسماء أهل المحروسة بهذه الغرابة بعد سنوات؟ كيف سيستقبل السلاوي اسمه أو دوجة أو حتى ميمون>>[4] كانت هده الأسئلة تدور في رأسه مصحوبة بمخاوف كثيرة عن مصير لغتهم وثقافتهم التي ألفوها وكيف ستكون بعد سنوات. إلى ما ستؤول إليه، يتكلم مرة ثانية محادثا نفسه << سلمني إياها موقعة باللغتين تأملت الحروف العربية طويلا ودهمني شعور غامض ، هل ستأتلف اللغتان في الجزائر؟ وهل ستحمل العربية مبادئ السيمونية>>[5].

كانت هذه المخاوف تثبت مدى حبه وتمسكه بلغته وحرصه عليها من الزوال وعلى هوية هذه المدينة من الاندثار فعلى الرغم من ما كان يقوم به الجزائريين من مقاومات من أجل إبقاء هويتهم وثقافتهم على أرضهم، إلا أننا نلمح اليوم التأثر بالأجنبي في اللسان

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 72.
[2]-المصدر نفسه، ص 24.
[3]- المصدر نفسه، ص 262.
[4]-المصدر نفسه، ص207.
[5]- المصدر نفسه، ص 325.

الجزائري الذي لا زال يعاني من تداخل اللغات واللهجات في كلامهم إلى اليوم وفي العادات والتقاليد والألبسة والأزياء والمعتقدات التي كانت هي الأخرى امتدادا لتعايش أبناء الجزائر مع الحكم التركي سابقا.

كل ما سبق لنا ذكره يعود بشكل مباشر ليبين لنا الجدل القائم بين التاريخ والهوية، وكيف ساهم التاريخ في تشكل هوية أهل المحروسة؟ والإجابة عن هذا التساؤل تكون باعتبار الهوية ومرجع (اللغة، الانتماء، الدين) ونتاج تقاليد ومواريث تراكمت عبر حقب تاريخية ممتدة وهذا ما وجدناه في رواية الديوان الإسبرطي، تشكل الهوية يكون من خلال ما اكتسبته جماعة معينة من عادات وتقاليد في فترة زمنية معينة، أي أن التاريخ هو ما يحكم تشكل الهويات لأنها ليست شيئا ساكنة بل هي نتاج حركة وتعاقب متعالقة تتغير واللغة والعادات والمواريث كما هو الحال في رواية الديوان الإسبرطي.

كخلاصة لما سبق ذكره نقول الهوية مرتبطة بالتاريخ الذي لا ينفك يتغير ويتحول لذلك هي صيرورة لترجمة إنسانية متغيرة، إذن علاقة الهوية بالتاريخ هي من تعطي الهوية هذا التعريف باعتبارها شيء متحرك متغير النشاط الإنساني عبر الزمن أو عبر التاريخ والدليل على ذلك هو أن قضية الهوية لا تثار إلا في المنعطفات التاريخية الكبرى التي تشكل تغييرا كبيرا في العالم.

المبحث الثاني: تمثلات التاريخ في الديوان الإسبرطي

1-الشخصية التاريخية:

لشخصية دور فعال ومهم في بناء أحداث الرواية إذ أنها تحرص على رسم صورهم وملامحهم سواء الجسمانية منها أو النفسية أو العقلية، بالإضافة إلى رصد إمكاناتهم الاقتصادية والثقافية وظروفهم المعيشية، فالشخصية هي <<مجرد شطرنج استخدمها الكاتب في لعبته الفكرية – الفنية – إذ أنها لا تستطيع أن تتحرك أو تتنفس إلا وفقا لرعايته هو الذي رسم لها قانونها الأخلاقي ويملي عليها التصرف ضمن مضمونها الخاص للخطأ والصواب >>[1].

كل السلوكات والمواقف المختلفة في الرواية تتوقف على الكاتب، فهو الذي يحرص على متابعة التطور التاريخي لكل الشخصيات سواء كانت رئيسية أو ثانوية، فالروائي يهتم بها مثلما يهتم بالفكرة والحدث على حد سواء وهذا من أجل أن يكتم عمله ويكون ناجحا من كل النواحي، كما أن الشخصيات تختلف من رواية إلى أخرى ومن كاتب لآخر كل حسب الدافع أو الموقف الذي أدى به إلى إنجاز عمله فمنهم من يختار شخصية أو شخصيات يرى أنها قادرة على حمل أفكاره وإيصال رسالته ويضع فيها كامل ثقته ويجعلها رئيسية إلى جانب شخصيات ثانوية تساعد على ترتيب الأحداث وجعلها متكاملة ومنسجمة فيما بينها، وهذا ما فعله عبد الوهاب عيساوي في روايته "الديوان الإسبرطي" إذ تعددت شخصياته الرئيسية إلى خمس تمثلت في شخصيتين فرنسيتين "كافيار" ، "ديبون" وثلاث شخصيات جزائرية "حمة سلاوي"، "دوجة"، "ابن ميار" وتتميز هذه الشخصية "باستقلالية الرأي، وأبرز وظيفة تقوم بها هي تجسيد معنى الحدث القصصي لذلك فهي

[1]-واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص87.

صعبة البناء وتاريخها محفوف بالمخاطر، فهي التي تقود العمل دائما ولكنها دائما هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لها"[1].

والشخصيات الثانوية تمثلت في كل من: "لالة الزهرة"، "لالة سعدية"، "مزوار"، "ميمون"، وقد تكون هذه الشخصية "صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي في المشهد من حين إلى آخر وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له وهي أقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية كما أنها لا تحضى باهتمام السارد"[2].

وأهمية هذه الشخصيات تتمثل في الوظيفة التي تؤديها لا في كونها ثانوية أم رئيسية، فكل واحدة منها تمثل شريحة أو طبقة أو توجه أو فكر ما، وهذا التنوع الإيديولوجي لشخصيات الرواية هو الذي يحدد قابليتها عند القارئ لأنه يحب بطبيعته أن يطلع ويكتشف الأفكار والمعتقدات الموجودة في الرواية لاسيما إذا كانت الرواية تاريخية تتعامل مع شخصيات جاهزة لها حضورها في التاريخ الرسمي حددت بداية ميلادها ونهايته. مما يجعل الروائي يتعامل معها بطريقة خاصة وهذا لتنوعها الفكري والثقافي والديني.

أما الشخصية التاريخية فهي أبرز الشخصيات <<التي يستوحيها المؤلف من كتب التاريخ وأحداثه ويكون موضوعها مقايسا من سير القادة ورجال الدين أو أصحاب الحركات و الثورات التاريخية والشعوب مع مختلف أجناسها >>[3] فهي تساهم مساهمة فعالة في التشكل الجمالي للنص وذلك خلال توظيف الشخصية التاريخية في المقطع السردي المناسب لها.

[1]-محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م، ص53.
[2]-أحمد حمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د،ط، د،ت، ص32.
[3]-نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، علم الكتاب الحديث، الأردن، 2006م، ط1، ص226.

رواية الديوان الإسبرطي تحتوي الكثير من الشخصيات التاريخية المتخيلة والواقعية على سواء، فثمة شخصيات استحضرتها بأسمائها الحقيقية: "الأمير عبد القادر"، نابليون وشخصيات تحصيل إلى شخصيات تاريخية يعينها لكن بأسماء مغايرة: "كافيار"، "ابن ميار"، كما أنه قسم شخصياته الرئيسية إلى شخصيات تخيلية وأخرى واقعية.

أ-الشخصيات الواقعية:

1-كافيار:

يمثل الشخصية الفرنسية وهو أحد جنود نابليون الحاقدين على الأتراك والجزائريين الراغب في الانتقام منهم بأبشع طرق << كم أصبو أصبو إلى وضع سلاسل في أرجل كل المور هنا، وأرغمهم على عمل الصخرة في محاجر الرخام حتى تمتلئ أنوفهم ببياضه، وتحرق الشمس وجوههم، سينظفون السفن وينزلون ما بها من سلع حتى تنحني ظهورهم، ولن أعطيهم سوى رغيف واحد من الخبز الأسود، ومبيتهم في غرف مظلمة مليئة بالبول والجرذان ليشعروا بألم الأسر والعبودية >>[1].

وهذا بسبب أسره من طرف العثمانيين الذين رموا به في أحد سجون المحروسة أين قضى فيها سنين عديدة << سرنا في شوارع الجزائر الضيقة عراة حفات والسلاسل في أيدينا وكان الصبيان يرموننا بالحجارة >>[2]. عمل في البناء والمقالع وهرست رجله بعد أن سقط عليه حجر << هرستها الصخرة حتى حالت عصارة دم ممزوجة بالرماد الأبيض >>[3]. هذا ما زاد من إشعال نار الحقد والكره بداخله للجزائريين والأتراك وأقسم كافيار أن ينتقم لكل لحظة عاشها ذليلا مهانا، وأن يحقق حلم قائده نابليون باحتلال الجزائر فقام بتدوين كل صغيرة وكبيرة وكل ما يراه يسهل عملية احتلال الجزائر عندما يعود إليها غازيا، فنجح بإقناع القيادة الفرنسية بذلك ونجحت خطته وأصبح هو المسير والقائد الفعلي

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص35.
[2]-المصدر نفسه، ص43.
[3]-المصدر نفسه، ص189.

للحملة فحقق بذلك كل ما كان يسعى إليه فنفى وأبعد وشرد ونهب ما استطاع من الثروات ودمر كل المقومات الوطنية يقينا منه أن كل ما يفعله حق مشروع باحتلاله للجزائر يضمن أنه ضمن الحقوق التي سلبت وقام هو باسترجاعها إحياء لأمجاد أسلافه.

فشخصية كافيار تتداخل مع الشخصية الواقعية للجاسوس الفرنسي (فنستت بوتان) واضع خطة الحملة الفرنسية على الجزائر بأمر من نابليون بونابرت[1]، الذي أرسله إلى الجزائر ليعطي الصورة المفصلة عن مدينة الجزائر ونواحيها، وكان أحد ضباط جيشه وأحد مستشاريه المقربين فأخذ عبد الوهاب عيساوي هذه الشخصية الواقعية بكل جوانبها النفسية والفكرية وجسدها في شخصية كافيار التي ظهرت في الرواية.

2-ديبون:

يمثل الشخصية الفرنسية المسيحية المعتدلة صحفي رافق الحملة على الجزائر(1830م) كان يعمل في جريدة لوسيما فور دو مرساي << وما إن أعبر مدخله حتى تقابلني لافتة الجريدة "لوسيما فور دو مرساي">>[2]. حيث قام بتدوين كل ما رآه في تلك الحملة وبعد مرور ثلاثة سنوات أن السفن التي كانت تأتي من الجزائر متجهة إلى فرنسا كانت محملة بصناديق مملوءة بعظام بشرية تستعمل لتبيض السكر <<يقال أن الباخرة تحمل عظاما بشرية؟

-أهي لجنود أوصوا بذلك؟

-لا بل لمصانع السكر: يقال: إنها تستعمل لتبيضه >>[3]. ذهل ديبون مما سمعه فهو الذي كان رافض لفكرة احتلال الجزائر من طرف العثمانيين وكان يسعى لتخليص الجزائريين من العبودية، والظلمة والظلام وتنويرهم وحمل رسالة الرب إليهم، عاد إلى

[1]-ينظر: محمد رندي، جدل التاريخ في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي أو لماذا يهاجم اليولداش الجدد أول رواية جزائرية تفوز بالبوكر العربي (نسخة إلكترونية) ص2.
[2]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص15.
[3]-المصدر نفسه، ص 16.

الجزائر ليتحقق من تجارة العظام الموتى واستخدامها في تبييض السكر الفرنسي اعترض، احتج كتب ولكن دون جدوى << لم يبقى لي سوى الركض مع ابن ميار، نحلم أن تغير المدينة، وتطرق الأبواب كلها لعل واحدا يفتح لنا ، ولم نلق سوى السباب والشتم، هذا إن لم نضرب على أيدي الجنود، ورحلت يائسا >>[1] فقد حاول تغيير الأوضاع بكل الطرق لكن هذه أمام جشع والحقد الفرنسيين وحب التملك والسيطرة الذين يتصفون به.

فشخصية ديبون تمثل الفئة الرافضة لجرائم الفرنسيين على الجزائر فهو نموذج للإنسانية والعدالة ويحيل إلى شخصية تاريخية حقيقية.

3-ابن ميار:

شيخ كبير من المور الأثرياء المقربين من الباشا العثماني، يمثل الشخصية الجزائرية المدافع عن الجزائر بالطرق السلمية ووقف في وجه الأتراك ثم الفرنسيين بالعرائض والمشكلات << لم أترك نداء لم أناده ولا وزيرا لم أرسل له شكايتي، حتى أعدائي كنت أشكوهم لأنفسهم لعل الضمائر تحيا، غير أنهم لا يعقلون >>[2]، كما أنه كان عضو في مجلس البلدية تحت السلطة الفرنسية "حين كنت عضو في مجلس البلدية"[3]، لكن رغم تقربه منهم إلا أنه بقي غريب بالنسبة لهم ولم يعاملوه كما يعاملون بعضهم البعض ولم يستجيبوا له وقابلوا كل مطالبه بالرفض << لم يكن مهما هذا الكلام يا سيد ابن ميار كما لا يمكنني خدمتك في قضيتك، أتمنا أن تحمل عرائضك وترحل >>[4] فبعد فوات الأوان أدرك ابن ميار أن نهجه السلمي ولاسترضائي لم يثمر وهذا عندما حضرت لجنة تقييم الأوضاع وخذلته بل جعلت منه سخرية وفي آخر المطاف نفوه إلى اسطنبول وخرج من المحروسة خائبا مخذولا << تترآى لي المحروسة من هناك مدينة بيضاء، مثل غيمة لم تفقد لمعتها أصر على الاحتفاظ بها على صورتها تلك، ألوح لها كلما أقترب

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص318.
[2]-المصدر نفسه، ص48.
[3]-المصدر نفسه، ص49.
[4]-المصدر نفسه، ص60.

منها أو ربما أبتعد عنها >>[1]كأن ابن ميار يحاول أن يلتقط الصورة الأخيرة للمحروسة يتذكرها كلما انتابه الشوق والحنين لها.

من خلال شخصية ابن ميار يحيل عبد الوهاب عيساوي يوضح إلى شخصية حمدان خوجة بداية القرن 19 الذي كان بدوره يدافع عن الجزائر بالطرق السلمية من خلال الرسائل والمذكرات[2] واستعمل كل الطرق التي ضن أنها ستبدي نتيجة وظل يناضل بشكل قوي يبين عيوب الاستعمار.

ب-الشخصيات التخيلية:

وهي شخصيات مجازية متخيلة يرسمها الكاتب من الداخل والخارج ليكمل بها عمله روائي فهي << كائن خيالي، تبنى من خلال جمل تتلفظ بها أو يتلفظ عنها>>[3] فالروائي هو الذي يعطيها القدرة والإمكانية على التحرك في النص وتأدية دورها بكل سهولة وبساطة وفي الديوان نجد شخصيتين متخيلتين هما:

1-حمة السلاوي: تمثل شخصية الجزائري الرافض للتواجد الأجنبي ببلاده وهو يسعى للدفاع عنها بالكفاح المسلح والعنف، لكن عبد الوهاب عيساوي أظهره على أنه درويش ومهرج دمى لكنه في الواقع كان حكيم ووطني يمثل لنخوة والغيورين على الوطن وهذا يظهر في الرواية عندما كانت العساكر تطارده يوميا منه العرائس لتقمع صوته << الحياة في المحروسة هي شكل آخر للموت، أراه كل يوم في عيون الناس، وأولئك كانوا يرتدون مقهى الشاوش، الدخان يصاعد غلاينهم، صوتي يتناهى إليهم من مكاني، وخيالات العرائس التي تهتز في يدي تنعكس على حائط المقهى، يضحك الرياس لاهتزازها وحواراتها ويغضب اليولداش مما أفوه به، ولكن لا يجرؤون على الاقتراب مني بل

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص356.
[2]- محمد رندي، جدل التاريخ في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي أو لماذا يهاجم اليولداش الجدد أول رواية جزائرية تفوز بالبوكر العربي (نسخة إلكترونية) ص2.
[3]-محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص40.

يترصدونني خارج المقهى، وما إن أتجاوز الشارع الكبير حتى يتراكضوا خلفي ويظل ابن ميار ينقذني في كل مرة، ويوصيني بالصمت خشية غيابه في يوم ما >>[1] كانت عرائسه السلاح الذي يشحذ به الناس للتصدي للمستعمرين ومحاربتهم << أثناء عبوري السهل فكرت في ابن ميار وفي المحروسة وفي دوجة التي تعد عرائس جيدة، بعد التي خلفتها في المقهى، حيث هاجمني الجنود الفرنسيون كانوا يتهمونني مثلما اتهمني الأتراك أني أدعوا الناس لثورة عليهم غير أن أهل المحروسة خانعون ومنذ سنوات ومنذ سنوات كانوا يطأطئون رؤوسهم ويتجنبون الأتراك في الشوارع >>[2].

عارض السلاوي الأتراك والفرنسيون وحاربهم وحارب كل رموز الفساد والعملاء وقتل "المزوار" الذي ترمز شخصيته إلى الخائن المتعاون مع السلطات المحتلة << خطوات واسعة لاتخاذ التلامس قدمي بها الأرض أثب عليه اتسع القمر لحظتها حتى أضاء الساحة كلها ولمع النصل في عينيه رأيت خوفه القديم والجديد، كل الوجوه مرت أمامه دفعة واحدة صور لأناس ممزوجة بالدماء، كانت يدي تقبض الخنجر ثم هويت بها بكل جهدي، الطعنة الأولى في الصدر، سريعة اخترقته سمعت تكسر ضلعه حين أنغرز بينهما وسجد وسحبته ليقطع جزءا من لحمه، ثم رفعته بالسرعة نفسها، وبرق مرة أخرى في عينيه المفزوعتين، وقد صارت حمراء، وغرزته في بطنه ثم أحنيته فتدفق الدم حارا من فمه، وانهمر الدم من بطنه ما إن سحبت الخنجر لم أدر كم كان عدد الطعنات التي سددتها إليه ليخر فوقي>>[3] قتل السلاوي للمزوار جعلته سعيدا كأنما أخرج الاحتلال الفرنسي من بلاده التي سلبت وموورست علها الهيمنة بشتى أشكالها الاجتماعية والثقافية والفكرية إذ أصبحت الغربة أنيسته وهو في بلده <<أياما لم أرى فيها ابن ميار ولم أجرأ على زيارة بيته، الرؤوس منكسة على الأرض، أرى فيها صباح في حنق، أنطلق من بيت

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص64.
[2]-المصدر نفسه، ص65.
[3]-المصدر نفسه، ص297.

لالة زهرة وأتجول في الشوارع دون وجهة، وأنزوي في مكان قصي>>[1] فيموت المزوار يكون السلاوي قد انتقم أولا لحبيبته دوجة وإلى كل فتاة فقدت شرفها غصبا وإلى كل دقيقة أحس فيها بالغربة وهو في وطنه.

ومن هذا يتبين لنا أن شخصية حمة السلاوي شخصية إيجابية مكافحة رافضة للاستعمار بكل أنواعه مدافعة عن الأمة ومقوماتها وصوته يحيل إلى صوت الجزائر العميقة التي يحفل بها التاريخ.

2-دوجة: هي شخصية متخيلة جعلها عبد الوهاب عيساوي شخصية المرأة الجزائرية المغتصبة التي تعرضت لكل أنواع الاستغلال والاستبداد، وهي فتاة قروية عاشت الفقر والتهميش، فقدت أمها << في الأيام الأخيرة لها تبدل حالها، وألزمها المرض الفراش وصار غائبا عما حوله، أما حين ماتت فحسبنا أننا لن تراه مجددا>>[2]، ثم فقدت أخوها بسبب المرض الذي أصابه ولم يجد وله علاج << وفي الصباح الأخير، تحسست جسده، كان باردا لم يرتعش من أثر اللمسة الأولى، أدركت أن منصور قد رحل إلى العالم الأخر >>[3]وبعدها بفترة توفي والدها قهرا بعد تعرضه لصفع من الفرنسي كافيار << ثم امتدت يد كافيار إلى وجهه، لطمه حتى سقط، >>[4] لم يستطيع تحمل الإهانة والظلم ظل طوال ذلك الأسبوع حبيس الكوخ ثم زدادت حالته سواء <<وفي نهاية الأسبوع تعلقت عيناي أبي بالسقف، مفتوحتين ولا ترى شيئا، امتدت يداي إليه وحركت جسده، كان متخشبا، و تحسسته مرة أخرى كان باردا، وظللت أحركه وأناديه لكنه لم يرد، صرخت حتى أنتشر صراخي بين أشجار اللوز المزهرة،وسرت الهمهمة عند باب البيت دخل بعض الفلاحين وتحسسوا جسده غير مصدقين أن أبي قد مات>>[5] كان مشهد والدها أكثر حزن

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص226.
[2]-المصدر نفسه، ص157.
[3]-المصدر نفسه، ص165.
[4]-المصدر نفسه، ص233.
[5]-المصدر نفسه ، ص232.

وتأثيرا لأنه آخر ما تبقى لها من عائلتها وبوفاته أدركت أنها فقدت الأمان والحنان فأصبحت بعدها ضحية الفقر والتشرد إذ تحولت بغيا من طرق وحوش بشرية، لكن تعرفها على السلاوي الذي ربطتها به قصة حب << عاد السلاوي إلي وضمني إلى صدره، تمنيت لو امتدت تلك اللحظة كان خفقان قلبي يتعالى حين امتزج جسدانا >>[1] واحتضانها من طرف عائلة ابن ميار أنقذها من الرذيلة وشعرت مجددا بدفئ العائلة التي حرمت منه وهي في ريعان شبابها: ورفضت الرحيل مع ابن ميار وزوجته إلى المنفى إسطنبول منتظرة بذلك السلاوي في بيت لالة زهرة الذي وعدها باصطحابها إلى جانبها في منفاها إسطنبول. ولكنني لم أستطيع يومه موافقته، ربما كان الرجاء الوحيد الذي لا يمكنني تلبيته، وأنا التي حلمت دائما بالخروج منها لم أجدها مثلما أحبوها، لكن مصيري معلق بالسلاوي، ولا معنى لسنوات الانتظار إذ لم أبقى في المحروسة >>[2] ربطت دوجة حياتها بالسلاوي لأنه ترى أنه هو الوحيد الذي سيمنحها الحياة التي تريدها.

ومن خلال هذه الشخصية أراد عبد الوهاب عيساوي إضافة مسحة رومانسية على الأحداث وإبراز من خلال هذه الشخصية صورة الأرض المغتصبة التي كانت مطمع لكثير من الدول التي أرادت احتلالها ونهب ثرواتها.

2-الأحداث التاريخية:

رواية الديوان الإسبرطي رواية تاريخية ترصد الفترة الممتدة بين 1815م إلى غاية 1833م صورت الأحداث المهمة التي أخذ منها المستعمر الفرنسي سببا جوهري للاحتلال الجزائر، ومثلت هذه الأحداث الكبرى الأحداث الواقعية في الرواية بينما المحكيات الضمنية وتفاصيل بعض الشخصيات مثلت الأحداث المتخيلة، فعبد الوهاب عيساوي مزج بين هاذين الحدثين لكي لا يخرج عن موضوع الرواية التاريخية التي تكون

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص231.
[2]-المصدر نفسه، ص383.

أحداثها نقل لأخبار ووقائع تاريخية مع إضافة مسحة خيالية لكي يضيف نوعا من التشويق والإثارة لجذب اهتمام القارئ.

أ-الأحداث الواقعية:

***حادثة المروحة:** هي حادثة واقعية بين حاكم الجزائر العثماني والقنصل الفرنسي، كانت الذريعة والسبب الغير المباشر لإعلان فرنسا الحرب على الجزائر ومن ثمة احتلالها، جعلها عبد الوهاب عيساوي الحادثة التاريخية الأبرز في الديوان الإسبرطي << لما تأخر ملككم في إيفاء الديون، ولماذا لا يجيب عن رسائلي العديدة؟ تفوه القنصل بما أدهش الجميع: -الملك في باريس لا يلتفت إلى شخص مثلكم.

ولم ينتبه الباشا لنفسه إلا وهو يقف ومن ثم يضرب القنصل بالمروحة التي كانت بيده، فهم القنصل بسل سيفه لكن الحراس قبضوا عليه، قرر الباشا قتله ولكنه اكتفى بطرده من مجلسه، خرج القنصل غاضبا، ولبث في إقامته ولم يمض إلا شهر واحد حتى رأينا ربع سفن فرنسية، رست في ميناء المحروسة، والتحق بها القنصل في اليوم الموالي، ومن هناك وصلت الرسالة إلى الباشا "عليكم بتحديد عهد الأمان لقنصلنا، وأرسلوا أعيان المدينة ليعتذروا للقنصل المرابط بالسفينة، وإذا لم يتحقق هذا فليست لكم منا إلا العداوة" >>[1].

فبصفع الباشا حسين القنصل دوفال بسبب ما اعتبره الباشا وقاحة في رد القنصل عليه وقد أعطى للفرنسيين الفرصة التي كانوا ينتظرونها لتنفيذ مخططاتهم المسبقة، فكان جعلهم لهذه الحادثة وسيلة لدخول المحروسة لكن الرواية لم تصرح تصريحا مطلقا على أن الحادثة هي السبب المباشر في الغزو لكنها رصدت سلوكيات الدولة العثمانية في العالم أنذاك.

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص132.

بالإضافة إلى رغبة الروائي في إحياء واستعادة حادثة لها أكثر من قرن ليكون للأدب أيضا دور في التعريف بالتاريخ حيث يقوم بملأ الفراغات التي تركها المؤرخون فارغة وتركيزهم على الحوادث الكبرى.

-إمضاء معاهدة السلام وتسليم الجزائر للفرنسيين حيث قام الداي حسين بالاستسلام وتسليم الجزائر للقوات الفرنسية فقد كان هذا الحدث من الأحداث التاريخية التي استند الروائي في تصويرها في عمله وكانت ردة فعل شخصية السلاوي كافية بمعرفة الصدمة التي تعرض لها الجزائريون أنذاك.

<<-والمحروسة؟ هل من أخبار عنها؟

-للأسف، سلمها الأتراك للفرنسيين.

هل ما قاله العجوز حقيقة أم تراه وهما؟ أتضيع المحروسة بهذا اليسر؟ لم أكن لأصدق كلماته، كانت عصية حتى على التفكير فيها، كنت أهذي والشيخ لا يزال قربي، عدت إليه أسأله:

-بالله عليك قل لي الحقيقة، هل فعلا سلمها الأتراك للفرنسيين؟

أشاح العجوز بوجهه عني، قائلا:

-بالأمس حدث هذا، دخلها الجيش مع منتصف النهار.

يا الله ... صرخت حتى اعتقدت أنهم سمعوني هناك في المجموعة >>[1].

فتأثر شخصية السلاوي بهذا الخبر يبين لنا مدى تأثر الروائي ببساطة سبب احتلال بلاده الذي دام أكثر من مئة وثلاثون عام.

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ص158.

كما أن هناك الكثير من الأحداث التاريخية التي تحدث عنها عبد الوهاب عيساوي في روايته لكنها لم تكن بارزة كحديثة إبحار الأسطول الفرنسي نحو الجزائر والكم الهائل من السفن التي حاصرت المحروسة << كان قد مر حينها على رحيل القنصل أربعة أشهر، في بداية الخريف، رأينا السفن تصطف عبر امتداد البحر >>[1] حيث امتدت سفن الفرنسيين مد البصر << ورست سفنهم، وظلت أياما ترسوا هناك، خمّنا من البداية أنها ستكون عشرة أو عشرين ثم ذهلنا، كانت مئات السفن تفغر أفواهها تجاهنا >>[2]. في حين كان الفرنسيين يعدون العدة لاحتلال الجزائر كان الأتراك يدخنون غلاينهم غير مهتمين لأن الأرض ليست أرضهم.

التجارة بعظام الموتى واستخدامها في تبييض السكر الفرنسي كان أيضا من الأحداث الواقعية في الرواية << كانت عينا الطبيب تحدقان في كومة العظام أمامه ثم مد يده تستكشف أولها، وما كان في حاجة أن يقبلها كثيرا، بدت من أول وهلة أنها فك إنسان، وضعها جانبا وشرع يخرج العظم تلو الآخر حتى أتى على الصناديق كلها، عيناه كانت تقولان كل شيء، افترش الأرض وأشار إلى أقرب العظام إليه: هذه ساق طفل لم يتجاوز العاشرة، والأخرى تبدوا لشاب وهذه ... أتراها ياديبون؟ أنها لشيخ أعرفها من انحناءتها، ثم أعادها إلى الصندوق، لينتقل إلى آخر، ومد يده فعادت بجمجمة صغيرة، وفي تلك اللحظة اضطربت، كانت الجمجمة ما تزال تحمل لحما على جوانبها، تعفن وحال إلى السواد، قلبها الطبيب بخيبة في يده >>[3]. من خلال هذا المشهد جسد الروائي وحشية المستعمر الذي انعدمت فيه الإنسانية وتميزه بحب السيطرة والتسلط فقساوة هذا الحدث تحكي مدى شجع وطمع الفرنسيين، فمن عساه يتحمل هذه المشاهد القاسية حتى وان كانت من مستعمر.

[1]-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص175.
[2]-المصدر نفسه، ص144.
[3]- المصدر نفسه، ص21.

ب-الأحداث المتخيلة: تمثلت في محكيات بعض الشخصيات وتفاصيل حياتها كما سبقنا الذكر.

فشخصية السلاوي بقتلها للمزوار يكون عبد الوهاب عيساوي قد صور لنا من خلالها مشهد تخييلي من مشاهد قتل العلماء والخونة في الحقبة الاستعمارية من طرف الغيورين على بلادهم والرافضين للاستعمار حيث صور الحدث كأنه عايشه بكل تفاصيله << حيث شرع الباب، ووقف المزوار عند عتبته، تمطى ثم حرك رجلية في الساحة، صرخ الصوت داخلي، عواء طويل لذئاب مجروحة، تختلج يداي تبحثان عن الخنجر، يشتد اهتزاز قلبي، ويتعال الصراخ داخلي، ثم يلمع الخنجر في عيني ما إن أسحبه... وانهمر الدم من بطنه ما إن سحبت الخنجر، كم أدركم كان عدد الطعنات التي سددتها ليخر فوقي >>[1] فيموت المزوار يكون الروائي قد صور الحدث الذي كان سائد في تلك الفترة التي تميزت بالظلم والجور من طرف الجزائريين الخونة.

بإضافة إلى هذا الحدث نجد حادثة ضرب كافيار لوالد دوجة رجل الفلاح الذي يعمل عنده << ثم يتراءى لنا كافيار، يسير في اتجاهنا، وكلما اقترب تتضح لي ملاحمه لم أدر ما الذي أغضبه، حتى حينما وقف إلى جوار أبي، بدا وكأنه منفعل صاح بكلمات لم أعها، ووقف أبي منحنيا كأنما قد اقترف ذنبا ثم سمعته يتمتم بكلمات لم أتبينها، بدا مثل من يعتذر، لم أكن انتظر أن يزداد حنق كافيار، بينما بقي أبي مطأطئا رأسه ثم امتدت يد كافيار إلى وجهه، لطمه حتى سقط>>[2] وهذا الحدث يمثل الفئة التي ماتت قهرا وغيظا بسبب عدم تحملهم الإهانة والظلم من طرف غرباء احتلوا بلادهم.

[1]- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ، ص232.
[2]-المصدر نفسه، 232.

خـــاتمة

ها نحن نصل إلى آخر لمسات هذا البحث، فبعد الدراسة التي قمنا بها حول قضية جدل التاريخ والهوية في رواية " الديوان الإسبرطي " " عبد الوهاب عيساوي " وكيف شكلت الهوية انطلاقا من التاريخ، توصلنا لمجموعة من النتائج والاستنتاجات من أهمها:

-الهوية متباينة ومتغيرة بتغير المجال التي تدرس فيه كما أنها ليست ثابتة ولا ساكنة المفهوم.

-كذلك مفهوم الرواية التاريخية عند كل من الغرب والعرب تلخص في صياغة أحداث تاريخية في قالب فني تخييلي.

-نشوء الرواية التاريخية لم يكن قديما عند العرب كما هو الحال في الأدب الغربي فقد كانت إرهاصاتها الأولى في القرن التاسع عشر، أما عند العرب فقد كانت نتيجة موجة الترجمة.

-رواية " الديوان الإسبرطي" رواية قائمة على تعدد الأصوات واختلافها وهو ما أدى إلى خلق موضوعات نجحت في نقل الأحداث بطريقة ملفتة.

-تناول عبد الوهاب عيساوي في تحليل التاريخ أو الأحداث التاريخية بشكل في من خلال طريقة التحويل والتشفير التي قامت عليها الرواية.

-كذلك من الأشياء التي تلتفت الانتباه قدرة الكاتب الهائلة على دمج التاريخ بالمتخيل فهناك مجموعة من الشخصيات المتخيلة مثل دوجة، السلاوي.

-كما استنطق الكاتب أدق تفاصيل الحياة في مدينة الجزائر ليشكل بناء الهوية الثقافية واللغوية للجزائري.

-التزام الكاتب بالمصداقية في نقل الأحداث والشخصيات التاريخية مثل القنصل الفرنسي دوفال، الباشا التركي، الداي حسين، ذريعة المرحوية.

-تشكل الهوية المختلفة الهيمنة -إن صح التعبير - المختلطة في الجزائر من خلال تصوير العادات والتقاليد، الأعراف، الحياة العامة للناس.

-شكل التاريخ في إيضاح الخلافة بين التاريخ والهوية من خلال ما صورته الرواية من مشاهد الانتماء والوعي الثوري ومن خلال أدق تفاصيل شخصيات الرواية.

-التاريخ هو من يصنع الهوية ويشكلها.

-تصوير معالم الحياة في مدينة الجزائر أثناء فترة التواجد العثماني والفرنسي (1815-1833م) من أحداث وشخصيات تاريخية ومتخيلة بكل حكايتها وحواراتها وبكل ما في الرواية من تنظيم في العملية السردية، ذلك التبادل والتعدد والتنقل من شخصية إلى أخرى، بكل المتناقضات، جعلت من الرواية نموذجا بارزا ومميزا يشرح كيف للتاريخ واستمراره وسيرورته أن يشكل هوية الإنسان الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط السادسة، 2020م.

2-المراجع:

1-عبد السلام عبد العالي، هايدغر ضد هيجل(التراث والاختلاف)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006م.

2- نضال الشاملي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط6، 2006م.

3-ابن خلدون، مقدمة، ج1، دار الفكر، بيروت، 2001م.

4-ابن خلدون، مقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م.

5-أحمد حمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د،ط، د،ت.

6-احمد منور، الأدب الجزائري، باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م.

7-السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، دمشق، 1349هـ.

8-الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط س.

9-أمال بوعيشة، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب.

10-أية حسني، الخصائص، تح: محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، د ط، 1997م، ج5.

11-بوعيشة أمال، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب، الجزائر، شهادة دكتوراه، إشراف جابر نصر الدين، جامعة محمد خيض، بسكرة، 2014/2013م.

12-جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية، مركز النشر الجامعي، دط، د ب، 2010م.

13-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، دط، 1863، مادة(هـ.و.ى).

14-جميل حمداوي، روايات حرب زيدان بين التاريخ والتشويق الفني، مسير الثقافة والفكر، نقلا عن الموقع.(www.diwond alarob.com _24-03_14 :00)

15-جورج لوكتاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط2، 1986م.

16-حاتم الورفلي، بول ريكو، الهوية والسرد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2009م.

17-حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012م.

18-حميد الحميداني، بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الجبل، بيروت، 1987م.

19-خليل نوري مسهير العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية.

20-رضا شريف، الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011م.

21-سعيد سلام، التناص التراثي(الرواية الجزائرية نموذجا)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010م.

22-سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة (الوجود والحدود)، الدار العربية للعلوم الناشرون، المغرب، ط1، 2012م.

23-سعيدة بن بورة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، شهادة دكتوراه، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة حاج لخضر، باتنة، 2007م/2008م.

24-سلطان بلغيث، تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، جامعة تبسة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

25-سليمة بن النور، الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة، المجلة الثقافية، نقلا عن الموقع (.(03: 14).2014_2017.http ;www.aud nad.not

26-سمير روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتجار الكتاب العربي، دمشق، دط، 2003م.

27-شرقي رحيمة، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديدات العولمة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013م.

28-عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية وفكرة الانتماء الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، العدد 26.

29-عبد الرزاق بوقطوش، دلالات بعث التاريخ وهاجس الهوية في رواية الديوان الإسبرطي.

30-عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط السادسة، 2020م.

31-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، دط، مركز النشر الجامعي، 2000، تونس.

32-فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، دار البيضة، المغرب، لبنان، ط1، 2004م.

33-قاسم عبد قاسم، بين التاريخ والأدب، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2008م.

34-قاسم يزبك، التاريخ، منهج البحث التاريخي.

35-كمال الدين عطاء الله، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل، المشرف: عبد القادر شارف، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر.

36-كمال الدين عطاء، جدلية العلاقة بين اللغة والهوية في ضوء التعدد اللساني وتكنولوجيا التواصل.

37-ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر(نماذج رواية عربية)، عالم المعرفة، دولة الكويت، دط، 2013م.

38-مازية حاج علي، الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، إشراف جمال مباركي، جامعة بسكرة، 2016م/2017م.

39-مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

40-محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م.

41-محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م.

42-محمد عمارة، مخاطر العولمة، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999م.

43-محمد محمد حسن طبيل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي.

44-محمد نجيب لفتة، ولتر سكوت والرواية التاريخية، المجلة الثقافية، الأردن، ع40، 1997م.

45-محمود أمين العالم، الرواية بين زمننا وزمنها، مج فصول، ع12، مجلد 1، 1993م.

46-منصور قسومة، الرواية العربية، الأشكال والتشكل، دار سحر للنشر، 1997م.

48-نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، علم الكتاب الحديث، الأردن، 2006م، ط1.

49-نواف أبو ساري، الرواية التاريخية (مولدها أثرها في الوعي القومي العام)، دراسة تحليلية تطبيقية، د ط، بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.

50-هارلمسر هولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، سوريا، د ط، 2010م.

51-هارلي بوتر، المنهج القديم في التاريخ القديم، د ت، بيروت، 1884م.

52-واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

53-فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2000م.

54-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، لبنان، ط1، 1997م، ج 3.

55-أمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار لنشر، سوريا، ط1، 1997م.

56-محمد رندي، جدل التاريخ في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي أو لماذا يهاجم اليولداش الجدد أول رواية جزائرية تفوز بالبوكر العربي (نسخة إلكترونية).

57-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

فـهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهـــــــــداء

مقدمة..... أ-ب-ج

مدخل: 4

1)-الرواية: 11

2-السرد:..... 12

3-التاريخ: 13

الفصل الأول:الهوية والتاريخ والفن الروائي..... 15

المبحث الأول: الهوية والرواية التاريخية 15

أولا: مدخل مفاهيمي للهوية..... 16

ثانيا: مفهوم الرواية التاريخية..... 25

ثالثا: نشأة الرواية التاريخية 28

المبحث الثاني: التاريخ بين الأدب والرواية والهوية 31

1-علاقة التاريخ بالأدب: 31

2_علاقة التاريخ بالرواية: 34

3_علاقة التاريخ بالهوية: 37

الفصل الثاني:تشكلات التاريخ والهوية في الديوان الإسبرطي..... 42

المبحث الأول: تمثلات الهوية في الكتابة السردية 42

1-الانتماء والوعي الثوري:..... 43

2-قضية الدين في الديوان الإسبرطي: 46

3-**اللغة والتعدد اللساني في الديوان الإسبرطي:** 50

المبحث الثاني: تمثلات التاريخ في الديوان الإسبرطي 54

1-الشخصية التاريخية: 54

أ-الشخصيات الواقعية: 56

ب-الشخصيات التخيلية: 59

2-الأحداث التاريخية: 62

أ-الأحداث الواقعية: 63

ب-الأحداث المتخيلة: 66

خـاتمة 67

قائمة المصادر والمراجع 70

فـهرس المحتويات 76